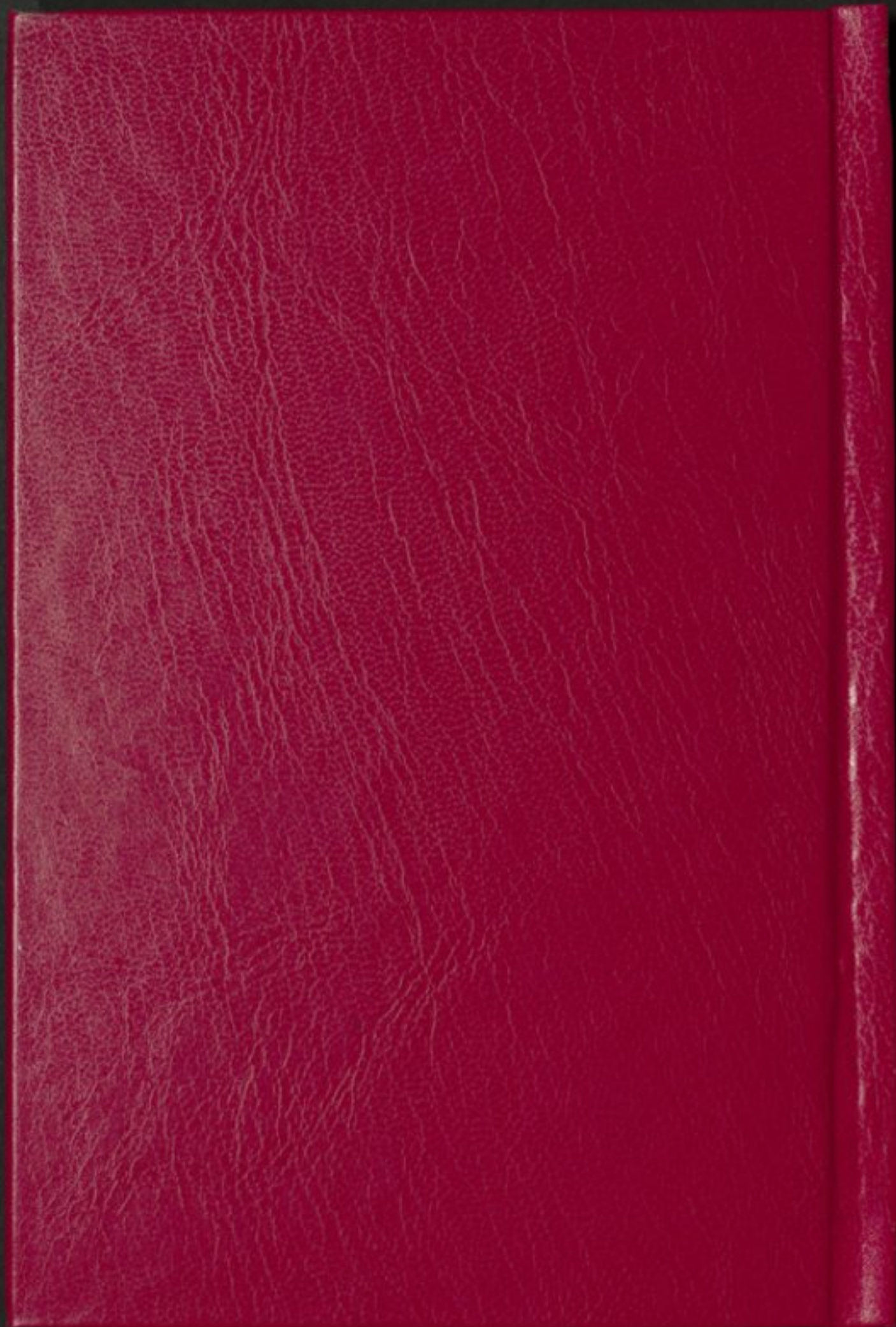


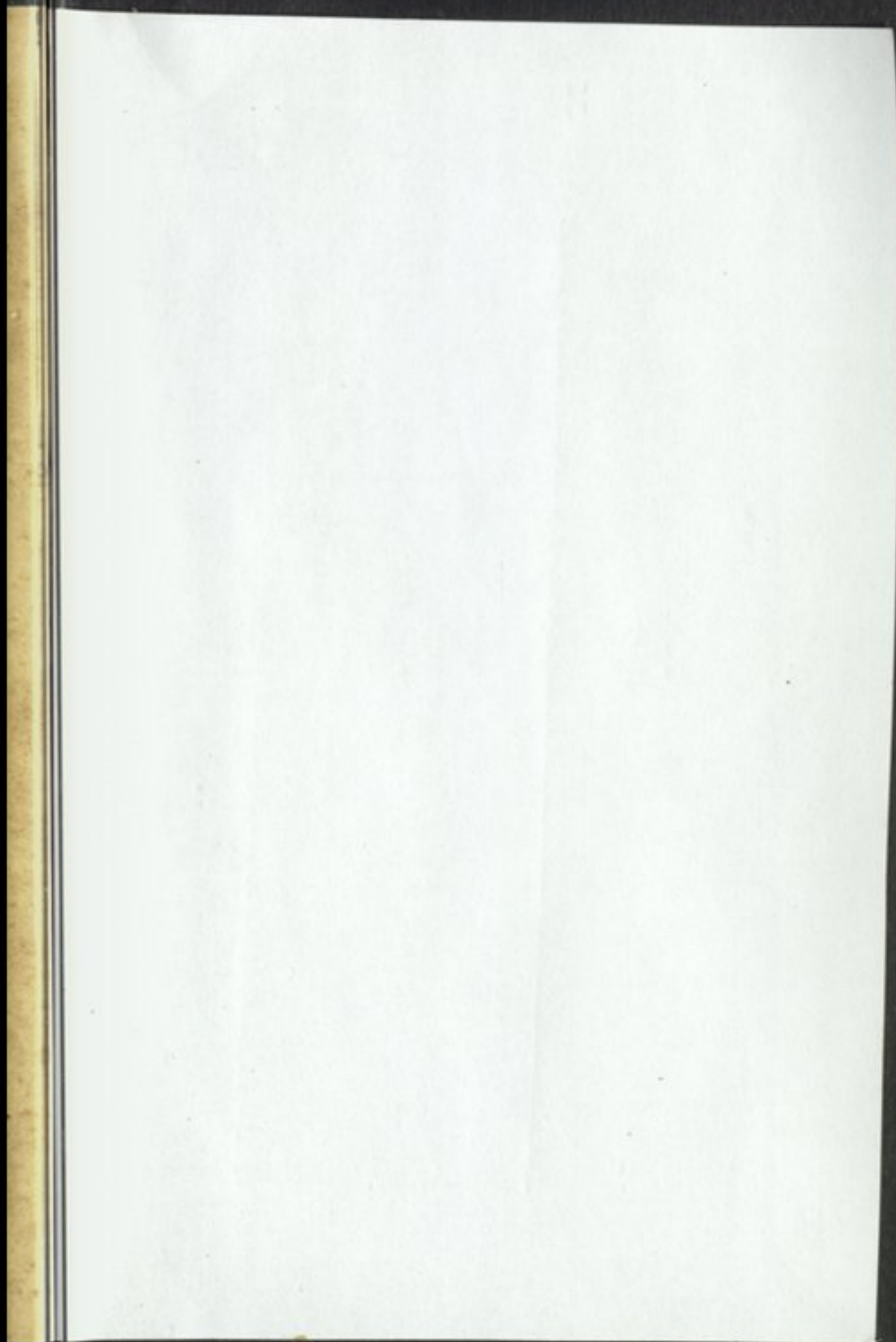


NEW B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



W.B. LIBRARY



297.

J4/14A

C.I

كتاب

Pres by R.
Bogdanov

التاج المرصع

بجواهر القرآن والعلوم

تأليف

الأستاذ الشيخ طنطاوي جوهرى



وهو الكتاب الذي أرسل الى جلالة أمبراطور اليابان

لمرضه على المؤتمر في أوائل انعقاده

203:87
19524

(النزم طبعه)

حضرة الحاج محمد افندى ساسى التاجر بجوار محافظة مصر

« حقوق الطبع محفوظة للمؤلف »

١٣٢٤ هـ مطبعة التبليغ للشيخ محمد علي مصر ١٩٠٦ م



طالما خطر لي أن أضع نموذجاً لعلوم الدين الاسلامي
 يتضمن ما يطلبه من الحقائق وما يألفه من الحكم حتى قام
 قائم الحركة الفكرية في دولة أبناء الشمس المشرقة باليابان
 فرأيت أن أبرز الفكر الى العمل فوضعت كتاباً سميته التاج
 المرصع بجواهر القرآن والعلوم وذلك في شهر اكتوبر سنة
 ١٩٠٥ ثم اتفق أن رأته لجنة برأسها صديقي العلامة الفاضل
 محمود بك سالم فاهتم بترجمته الى لغات أوروبا ونشره في أرجاء
 المعمورة شرقاً وغرباً فمسي الله أن يكمل عمله بالنجاح وهاهو
 يترجمه الآن شاب قازاني الى اللغة التركية كي يتم نشره في
 بلاد المعجم والترك والروس ثم بعد ذلك عقد مؤتمر اليابان
 في سنة ١٩٠٦ أي في هذا العام فصرت أقدم رجلاً وأوخر

أخرى أرسله اليه وهو باللغة العربية أم أتربص أنجاز وعد
صديقي محمود بك سالم بالترجمة وبيننا أنا كذلك اذ افترح على
أخي صديق أن أهديه الى امبراطور اليابان ليعرضه على
هيئة المؤتمر فانشرح صدرى لذلك فأرسلته بخطاب الى جلالته
الميكادو وهذا نصه

جلالة الامبراطور العظيم ملك اليابان

أرفع لجلالتكم التبجيل والتعظيم وأقدم لكم كتاباً
ضمنته اجمال ما زاولته من حقيقة الدين الاسلامي في الجامع
الازهر الشريف وما طالعته من أسفار الاوائل حكماء العرب
وفلاسفة اليونان وما لاحظته من العلوم المصرية ومقارنتها
بالقرآن الشريف في المدارس المصرية ولذلك سميته التاج
المرصع بجواهر القرآن والعلوم واني من مبدأ حياتي مغرم
بالبحث عن الحقائق العلمية ومقارنتها بالاديان بحرية الفكر
وان أعجب شيء في حياتي وأجمله أن أرى ملكاً عظيماً
الشان مثل جلالتكم يوجه النفوس الى ما اشتاقت اليه نفسى
وهام به فؤادي من هذا المقصد الشريف العالي فلم أربداً

من جمع حقائق وعاماها الصدر واشتغل بها الفكر واهدائها
لجنايبكم اعظاماً واجلالاً وقياماً بشكر الله على أن قيض للعالم
فيكم ملكاً ناصرًا للعلم والحكمة

أهديه لجلالتكم باللغة العربية لغة الدين الاسلامي وعجبت
به اليكم قبل أن يترجم الى لغة أخرى من لغات التخاطب في
المؤتمر خيفة فوات الفرصة فاني أرجو أن يعرض على هيئة
المؤتمر وعسى أن يقرأه من أعضائه من جمع بين اللغتين
باتقان فان وصل الكتاب متأخراً بعد انفضاض المؤتمر فاني
أرجو عرضه على حكماء دولة اليابان العظيمة مترجماً بأمركم
فاعمل في شبان اليابان من يرى في سلسلة هذا الكتاب ما
يوافق مشربه من البحث وان علمت نتيجة ذلك من بعد فاني
لجلالتكم من الشاكرين

وقد كان ارسال الخطاب والكتاب في أوائل انعقاد
المؤتمر ولما كان نشره في وطني وأبناء جنسي أوجب وألزم
وأحرى وأحق أردت طبعه ليم نفعه أبناء البلاد
وهذه هي الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم وأصلي وأسلم على نبيك وأتقرب لجنابك
الرفيع زلني بإبراز ما أكنه القواد من علوم الدين الاسلامي
الى مشارق الارض ومغاربها . فساأوفي الشرقيين والغربيين
بما اقتبسته من فرائده وما نظمته من قلائده واستمنحك اللهم
روحا عالية وقوة قدسية تمدني بها حتى يبلغ الكتاب أجله
وينال عبدك أمله ويصبح هذا الكتاب منهلا عذبا للواردين
ومتبوء صدق للمتفكرين ولاأذكر نموذج وقائي المتابعة
موسومة بالجواهر فأقول

﴿ الجوهرة الأولى . مبدأ نظري في العالم ﴾

خلقت بطبعي أميل الى النظر والتأمل في العالم فكانت
السنة عندي نصفين نصف أفضيه في الدرس والطرس في

الجامع الازهر الشريف في القواعد العربية والمسائل الفقهية
 كالمعاملات والعبادات العملية فاذا عدت الى الحقول والمزارع
 في النصف الآخر أجلت فيها النظر وسرحت فيها الفكر
 فأرى جمالاً باهراً ومنظراً زاهراً وحسناً ناضراً وسلطاناً
 قاهراً مما تركت فاكهة ولا أبا ولا نجماً ولا شجراً الا تأملت
 ألوانها الزاهرة وأشكالها الظاهرة ومحاسنها الناضرة وروائحها
 الجميلة وألوانها الزاهية الباهية فأقول ياليت شعري ألم يك هذا
 النظر أولى بمدارسنا الاسلامية أو ليس الذي خلق السماء
 فسواها . والارض فدحاها . والانهار فأجراها . والنبات
 فأنماها . والأشجار فأثمرها . والثمار فكورها . والازهار
 فنورها . والروائح فأحسنها وصورها فزينها هو الذي خلق
 الاجرومية والنحو وفرض الصلاة والزكاة وأجري القرض
 والبيوع ورتب الميراث والحدود ولما ذالم يفرض علينا أن نلم
 بأطراف ما ذراً في الكائنات وما أبدع في المخلوقات ثم أظل
 نهاري مفكراً في ذلك فاذا جن الليل وأرخي سدوله علي
 أخذت أفكر في النجوم وجمالها . والسماء وبهائها والارض

وجلالها وأحضر القرون الخالية والوحوش السانحة ثم أرجع
 الى من ذراها وبرأها فأجد أسانذتي لا يحومون حول ذلك
 الا عرضاً وينبذونه نبذاً وغاية ما يقولون ان هذا العالم حادث
 والحادث لا بد له من محدث أما التعويل على حكمه وآياته
 والاغتراف من بنايعه وأنهاره فذلك منبوذ نبذ النواة . فاذا
 رأوا مسائل طبيعية في كتاب قالوا فليقفل هذا الباب .
 فضلت حائراً بين نظري والدين والتقليد واليقين . ومن
 العجب اني رأيت العلماء يقولون لا يصح الايمان الا بالعقل
 والبرهان . لا بالتسليم والاذعان فان نظرت الى تعاليمنا أجدها
 تقليدية وان نظرت ورجعت الى فطرتي الفيتياتسمى الى اليقين
 ﴿ الجوهرية الثانية . مقارنة الاديان ﴾

ومما زادني شغفاً وأضناني حزناً وأشعل في فؤادي نار
 الطلب اني قرأت يوماً في قانون الفرعة العسكرية ان للدين
 النصراني لاهوتاً وانهم يظنون يبحثون عن الخالق بمقوّلهم
 فكاد يغشى عليّ اذ ذاك وقلت اذن هم يبحثون كما نحن
 باحثون ويعلمون كما نحن عالمون فأى الفريقين أحق وأى

الحزبين أصدق وما زلت أروح وأغدو في تيهاء تلك الحيرة
وبيداء تلك الفكرة حتى اهتديت الى تاريخ حياة الامام
الغزالي رحمه الله تعالى المتوفي في أوائل القرن السادس فرأيت
درج على ما دوجت عليه حتى اهتدى وذكّر السر في حيرته
والهدى في أوبته فقهت رمزه وعرفت خبره

❦ الجوهرة الثالثة . العالم والصانع ❦

ثم كررت أبحث ركاب الطلب في البحث عما شغل
الفؤاد من العالم والصانع فوجدت فؤادي يتقد حرارة وشوقا
وولوعا بادراك سر هذا الوجود ومعرفة صانعه ولم أحاول
تحويل القلب وارجاع الفكر واتحاد الجذوة فلم يرعو الفؤاد
ولم يزدجر العقل بل لاحظت اني كلما لويت عنانه جدد في
الطلب وحث ركاب التسيار وكان امامي خلة من خلتين اما ان
أعلم ان هذا العالم موزون بميزان سائر على نواميس متقنة
محددة فأقر بصانع قادر عالم مدبر له . واما ان أعلم انه مبعض
غير محكم فاقف موقف الكليل الطرف الحسير واياأس من كل
ما اسمع من الموجودات العالية

﴿ الجوهرة الرابعة • تعليم التوحيد ﴾

طلبت هذه الحقيقة من علم التوحيد فقرأت فيه
 براهين أشبه ببراهين الهندسة في شكلها فينظمون المقدمات
 ويستنتجون النتائج لا يلوون على العالم ونظامه وما حواه من
 حكم وغرائب وأحكام وبدائع بل يفرضون الفروض ويرهنون
 على وجود الصانع مثلاً بأن العالم حادث وكل حادث لابد له
 من محدث والاله واحد ولو كان إنسان لحصل خلل وهو
 قادر ويبحثون عن القدرة هل هي صفة زائدة على الذات أو
 عين الذات وهو موجود والوجود هل هو عين الوجود أو
 غيره ولا يزال البحث هكذا فهذا ترى خواص المسلمين
 صرفت عقولهم عن العالم وما أودع فيه من الجمال والترتيب
 والنظام بل نكتفي بأن نعرف الله بتلك البراهين ومتى حصلنا
 نقتنع النفوس بأنها عالمة وإن خفى العالم وما فيه أن نعرف الله
 ونقول هي مصنوعاته ولا عبرة بالصنعة من حيث اتقانها
 وابداعها وربما يذكرون الاتقان عرضاً واجمالاً لا قصداً
 وتفصيلاً . فلما قرأت علم التوحيد أورثني بعض الاقناع

ولكن ألت على النفس في مطلبها واسترسلت في مشربها
وجدت في سبيلها وزادت في غلوئها وأصرت على مقصودها
فكررت راجعاً الى القرآن العزيز وهو لا يقرأ الا للبركة
لا ليفهم معناه عادة

﴿ الجوهرة الخامسة . النظر في القرآن الشريف ﴾

ولاذكر لك قبل الكلام على القرآن مقدمة توضح
المقصود فأقول . جاء القرآن والامة العربية في بداوتها
فشغلتهم الفتوحات في القرن الأول وما زالت دولة الامويين
وأخلفتها دولة العباسيين حتى استتبت الفتوحات ووقفت
الحركات وأخذوا يحنون ثمار ما غرسوا في الدولة السالفة فمدوا
أيديهم الى كتب اليونان فترجموها واستعانوا بعلماء فارس اذ
دخلوا في دين الله أفواجا فاستمدوا من اليونان كتبهم ومن
الفرس رجالهم فشغل الناس بتلك الفلسفة وهي كما في اخوان
الصفاء غامضة صعبة المراس ترجمها قوم ترجمة لغوية لا معنوية
فاعتاصت على قارئها وأخذت باناس الى مهاوي وفيافي
وأضلت أهل العلم في الارض حيارى وأصحابهم بدعوتهم الى

المهدي فلا يهتدون فتري أمثال ابن سينا والفارابي زعماءهم
 وابن رشد والغزالي خصمان فاحتدم بينهم الجدل والنضال
 في ميدان المناقشات ولم يك للناس شغل شاغل الا ان هذه
 العلوم تنافي الدين وتناضله وتباوئ القرآن وأضحى عامة
 المسلمين من الادباء والمقهاء يقولون هذه كفر هذه فلسفة
 تنافي الدين . هذا كله في المقائد الاسلامية والعلوم الكونية
 وتري أمثال الشافعي رضي الله عنه وسفيان الثوري وأبي
 حنيفة وصاحبيه ومالك وابن حنبل دونوا الفقه للعبادات
 والمعاملات والحدود والجنائيات وتقسيم الموارث . فانقسمت
 الامة اذ ذاك فريقين فريق يبحث عن الفلسفة وآخر في الفقه
 فاللاسفة هجروا القرآن بما استغرقوا أوقاتهم من شغل
 شاغل والفقهاء اذا كتفوا بما استنبطه المجتهدون قبلهم
 حرّموا الاجتهاد ورجعوا الى ما صنف شيوخهم حتى انك
 لتري الاحكام في هذه العصور مبنية على عرف الاعصر
 الأولى . وبالاجمال ان خاصة المسلمين وعامةهم بما شغلهم من
 الحروب الفادحة وظلم الملوك واستبدادهم نبذوا القرآن والنظر

فيه ظهريا واكتفوا من العلوم الكونية برشحات الفلسفة
اليونانية ومن الفقه بمصنفات شيوخهم الفابرين وعلمائهم
السابقين وما جاء الزمان الذي تعلمت فيه الا والقرآن لا ينظر
فيه الا تبركا ولا يجوز لاحد الاجتهاد فيه وطالما سمعت من
شيوخى أن طلاب العلم يحرم عليهم التفسير الا بالتلقي من
الشيوخ والشيوخ لا يفسرون الا بما دونه صحف الاوائل
ويعتقدون ان لن يفتح على أحد بمثل ما عرف الاولون بل
ان كتب الشافعى ومالك أصبحت لدينا الآن بمثابة القرآن فى
ان فهمها اعتاص على الناس فكل طبقة تنزلت فى أفكارها
عمن قبلها . وهناك طائفة ثالثة نظروا فوجدوا الناس انبهروا
من هاتين الطائفتين حيرى بين الفريقين سكارى وما هم
بسكارى ولكن عذاب الجدال والخلاف على العقول شديد
فاجتهدوا ان اخترعوا أحاديث لفقوها وأكاذيب ابتدعوها
ونسبوها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد فى الصحيح
خصوصاً بفضائل سور القرآن كما فى الانقان فى علوم القرآن
للسيوطي ولما سئل بعضهم قال قصدت بهذه الاحاديث

وافترائها ان أصرف وجوه الناس عن أمثال أبي حنيفة وفقهه
الى القرآن فكان ما أراد وكثر قراء القرآن لجرد التبرك
وترك الناس المعنى ونبذوه نبذاً ظهرياً حتى زماننا هذا

﴿ الجوهرة السادسة . حالي عند النظر في القرآن ﴾

لا عجب بعد أن سمعت هذه المقدمة اذا تلوت عليك
من آيات العبر والمدنية والرقى والحضارة من القرآن وقد
غفل عنه المسلمون . نعم لا عجب اذ قام عالم أمريكي يباحث
العالم الخراساني في الدين الاسلامي في هذه الايام ويقر العالم
الامريكي بحقيقته ويكتب في الجرائد بذلك في هذا العام
فترد تلك الجرائد عليه بأن هذا دين المتوحشين والبرابرة
ولو كان كما تقول لرقاهم وأزال عن أعينهم الغشاوة . وأثبت
فيهم نبأنا حسناً أين أثاره . أقوام لا خلاق لهم جهلاء جامدون
هذا كله قرأناه في هذا الاسبوع في جرنال العالم الاسلامي
فلا يعجب الغربيون بعد هذا البيان الذي رسمناه اذا رأوا فينا
اعوجاجاً وجهلاً فقد ظهر الحق لذى عينين . اذا كان هذا
حال الامة من أمد بعيد فكيف يكون حالي وأنا بين أقوام

حرموا على الناس ورود مناهل الكتاب الحكيم فلما حاولت
 الاهتداء بالقرآن رأيت من بين يدي سداً ومن خلفي سداً
 وانبعثت أبالة الوهم وشياطين الجهالة تحوم حول العقل لمنعه
 من الاقتباس وتحرمه من الاستضاءة بمشكاة نور القرآن
 فكسرت تلك الاغلال وفتحت تلك السدود . وجاوزتها
 الى المعاني ولكن لا البس الأمر على القارئ اني ما كسرت
 تلك القشور . ولا نبذت تلك الاغلال الا تدريجاً شيئاً فشيئاً
 قليلاً قليلاً ثم تلقيته عن الاشياخ وبعد ذلك نظرت في علوم
 الغزالي فرأيت الرجل بجرأ خضماً ومصلحاً عظيماً وطريقته في
 تعليم الشريعة والتوحيد الجمع بين مصالح الدنيا والدين . وأول
 ما اتفق لي من انقرآن اني كنت أقرأ في اثر (تفكر ساعة
 خير من عبادة سنة) وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لقد
 أنزلت عليّ الليلة آية ويل لمن قراها ولم يتدبرها ويل له ويل
 له ثم قرأ قوله تعالى (ان في خلق السموات والارض
 واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع
 الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد

موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب
 المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون (فقرأت
 هذه الآية وعرضتها على عقلي ثم طفقت أنظر بنفسى فى السماء
 والارض والسحاب والماء والهواء واقارنت القول بالعمل
 وتأمل تلك المعجائب المدهشة وأقول ان الناس يعيشون
 ويموتون وهم غافلون لا يفكرون . ثم أخذت أبحث فى آيات
 اخرى فرأيتها كثيرة جداً كقوله تعالى (قل انظروا ماذا فى
 السموات والارض) وقوله (أو لم ينظروا فى ملكوت
 السموات والارض وما خلق الله من شئ وأن عسى أن يكون
 قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون) وقوله (ان فى
 السموات والارض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم وما يبث
 من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل
 الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف
 الرياح آيات لقوم يعقلون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق
 فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون) كنت أقرأ هذه
 الآيات وأنظر معانيها وتأمل فى الحقول والمزارع والاعشاب

والاشجار والاثمار والحيوان

﴿ الجوهرة السابعة . الشوق الى العلوم ﴾

لما قرأت هذه الآيات وعرضتها على العقل وأخذت
أنظر في الكائنات فرحت بها في بادئ الامر ثم ظهر لي ان
لها مقادير وحسابا منظما فكنت أرى الاشكال مستديرة
وبيضاوية والاثمار ذات مقادير وطعوم وروائح وألوان مختلفة
ولا أدري ما الاسباب المؤدية لذلك ولم اختلفت المقادير
والاشكال والالون فازداد شوقي للعلوم والحكمة والطبيعة
والمسفة والكيمياء وعلم الحيوان والانسان والتشريح والنفس
والرياضة من الحساب والهندسة والجبر والفلك فأخذت أقرأ
بقايا الفلسفة القديمة بالازهر الشريف اذ كنت أقرأ مباحث
الافلاك اليونانية والطبيعية والارضية والمعدن والنبات
والحيوان والانسان ومعرفة الاله وصفاته واليوم الآخر
ورأيهم يقولون يلزم معرفة العالم أجمع حتى يكون الانسان
حكما ولكني رأيت المباحث مبعثرة ناقصة فبحثت عن منبع
غير هذا فأذن الله فدخلت مدرسة دار العلوم فلعمر ك ما كنت

لأعلم ان في العالم كله فلسفة سوى ما درسنا ولا طبيعة غير
 ما قرأنا وكنت أظن كما أخبرنا شيوخنا ورسخ في نفوسنا
 أننا أرقى العالمين ولا يعرف أحد سوانا شيئاً فلما دخلت المدرسة
 وسمعت ان لديهم الطبيعة والكيمياء أخذت أدرسها هي
 والحساب والهندسة والجبر والفلك وكنت أرى أن ديني
 يطالبني بذلك اذ رأيت القرآن ذكر هذه الاشياء في نحو
 ٧٠٠ آية فتقرر في عقلي أن من أمكنه معرفة هذه العلوم
 وجبت عليه ومن ظهرت له الحكمة فأعرض عنها واتبع هواه
 زلت قدمه وساء مشواه

﴿ الجوهرة الثامنة . هل العالم منظم (ايضاح لما مضى) ﴾
 كنت أرى في النفس شوقاً ان أفهم على حقيقة نظام
 العالم فكان يظهر لي باديء بدء انه غير منظم ولا محكم بل هو
 مبهم مشوش غير محكم الترتيب كما أشرت اليه فيما مضى
 وطفقت أكل أمر التصديق بمبدع هذا العالم الى الوقوف
 على حقيقته ونظامه وطالما قلت في نفسي اذا علمت ان العالم
 منظم وأيقنت به فاني لا أرى بدا من الجهد والتشهير في

مرضاة صانعه وصرف الوكد اليه والعمل الخالص لوجهه
 مادمت حيا فاما اذا لم تظهر لي بارقة علم ساءت الحياة وضلت
 الوجهة وكان الخسران . طالما برزت الى الحقول والنسمات
 تغني على أعواد الاغصان بنغمات طييمية والاثمار تهادي
 طربا والأزهار باسمه عجباً وأقصد المغرمين بالمعارف تصبو
 شغفاً وتيه عجبا وعجبا ولسان حال البرق ينطق بحاسن الجمال ويعبر
 عن مكنون الكمال والرعد يقود جيوش العلم ويهزم جهافل
 الجهل ويزار ويصول ويجول في الجوى ينادي ذوى النفوس
 الجامدة والعقول الخامدة ويزجر الخاهلين ليحشرهم في
 محشر وصعيد واحد ليسمعوا آيات العبر وصنوف الحكمة
 ليحكم بينهم بالحق وينقسمون فريقين فريق الى سعادة العلم
 والنعيم وآخر الى شقاء جهنم الجهل والسعير . هذه المحاسن
 والبدائع لا تتجلى الا لذوى النفوس والفطن الصافية والعقول
 المنيرة . نفوس استعادت للحكمة فصنفت وراقت فقبلت
 نقوش الحكم وصور الجمال في ألواحها . فما من هبة نسيم في
 نافذة أو غصن الا ولها معنى يبرزه صوت الحكمة أرسل

من المصادر العاليه الى تلك النفوس فتوحي اليها بأسرار يعجز
 عن ادراكها أولئك الغافلون فاذا أصغى حكيم الى تلك الكلم
 الهوائية سمعها تطالبه بالتحقق من سر هذا العالم وهل هو
 منظم أو مبعثر وهل نحن نعيش عيشة مهملة أم هناك نظام
 شمانا بباطنه تلك الحقيقة كم قطعت دونها الاعناق وضل في
 طريقها أقوام برعوا في النحو والفقه والعربية وما شاكلها لم
 يكن الوجدان وحده مطالبا بذلك العلم بل الكتاب الحكيم
 يقول (١) (وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر
 معلوم) (٢) والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من
 كل شيء موزون) (٣) وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب
 والشهادة الكبير المتعال (٤) (والسما رفعها ووضع الميزان الا
 تظفوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)
 قد فسر الميزان بانه نظام كل شيء في العالم بحيث يكون
 كالوزن لا يزيد ولا ينقص وقوله ألا تظفوا في الميزان
 يلزمنا أن نقلده ونحس نحوه فيما نزاوله من الاعمال وما نحاوله
 في معاشنا فلا نطفي في ميزاننا ولا نبجاوز الحد فيه فنزيد اذا

وزنا على غيرنا ولا نخسره ونبخسه ونقصه إذا وزنا لغيرنا وبعنا
شيئاً وانا بذلك نقرب منه ونصنع كما يصنع في العالم ويهندس
لنا ويحكمه لعباده (٥) (ان الله سريع الحساب) (٦) (وهو
أسرع الحاسبين) (٧) (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو
ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة
في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين)
ولا معني لعلم ما في البر والبحر وعلم ما تحت الثرى والرطب
واليابس ووضع هذا في كتاب الا مع ترتيب وأحكام ونظام
وأسباب ومسببات والا كان العالم مشوشاً فالعلم به على مقتضاه
لا يكون علماً (٨) (انا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا الا
واحدة كلمح بالبصر) والقدر وضع الاشياء بمقادير محددة
معينة وأوضاع معلومة وأحوال متناسقة ثم يقول ان أمره
سريع كلمحة واحدة بالبصر ونظرة بالعين كما في البرق والكهرباء
وأحوال القلوب وأعمال الغيوب وهذه مرتبة كسابقتها
منظمة متقنة كاخوانها (٩) لتركن طبقاً عن طبق فما لهم
لا يؤمنون) أي أحوال العالم متناسقة درجات بعضها فوق

بعض مرتبة ليست مبعثرة بل هي منظمة (١٠) (والوزن
يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن
خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون)
يقول ان الوزن يوم القيامة حق وهل يكون حقاً الا اذا كان
الموزون وهي أعمال الدنيا موزونه صدقا بميزان عدل

﴿ الجوهرية التاسعة . المباحث المناسبة لنظام العالم ﴾

كنت اذا سمعت تلك الآيات أجدني لا أزداد الا
طلباً فأقول ياليت شعري من لي بأن أقف على هذا النظام
ومن أين يصل الي أن كل شيء عنده بمقدار وبأية سبيل
ينال قلبي التصديق بذلك والوقوف على حقيقة هذا وودت
لو أكون في سرب مختلفاً مجهولاً لا يؤبه بي وأصل الى
الوقوف على تلك الحقائق وأنال أمنيته وكنت أطوف على
شواطئ البحار وحافات الانهار وضمنات الخابجان الشمس
حجراً مرسوماً جسدداً وخطوطاً منتظمة او أرى حيواناً فيه
آثار منتظمة ومتقنة لعل أشم لهذا النظام رائحة وتارة كنت
أعثر على حشرات صغيرة بين الأعشاب ذات خطوط

منتظمة مختلفة الألوان باهية زاهرة فكنت أتدب منها نسيم
الحكمة ومبادئ العلم . وما كان أشد شوقي اذ ذاك وولوعي
وجدي في الطلب وتشميري واسراعي الحثيث وصرف جهدي
الى ما كنت ألتزمه بين الأكام والطلول والطارق والمسالك
والنباتات . انظر الطيور الطائرات وكيف تناسب أجنحتها
جسمها وكيف لطفت من الامام وأنامل ألوانها الزاهية الزاهرة
وجملها البهي وأنا في كل ذلك كأنتى في عالم غريب وكما
عرفت شيئاً زاد العالم غرابة وحسن طاعة . عشقت العلوم أجمعها
فكنت أهفو للرياضيات وأميل للوقوف على أسرار الطبيعة .
ولم أنس ليلة وقد زرت حميا لي اذ وقفت مساء عند سياج
حديثته الغناء وهي تشرف على نهر جار يسمى أبا الاخضر
بجانب قرية والنسيم بهب وممي صاحب يحادثني وقد أطلعتني
على ماشاق نفسى وما يكنه الضمير من الولوع والشوق وأنا
أقول له كأني بهذه الاوراق تتحل الى العناصر أمامي وكأني أطلع
ماضيته من الاغذية المتحابة والمتجانسة ولقد زاد شوقي لذلك
وعسى أن ادخل مدرسة دار العلوم هذه السنة نعم كان ذلك

وأخذنا ندرس فنون الطبيعة وأنني لا ذكر أننا في بعض السنين
اذ قضينا السنة وقفنا الى قرانا بالسواد وبلاد الفلاحين أخذت
افرا في كتاب احياء العلوم للشيخ الغزالي فرايته جمع ما درسناه
أثناء تلك السنة من الطبيعة في باب من كتاب الاحياء تحت
عنوان الشكر وجعل ما درسناه عنوان شكر الله ولقد قرأت
فيه الكلام على بيوت النحل وأن تسديسها وتنظيم بيوتها
مختار لمناسبة ذلك التسديس لجسم النحل اذ الاشكال المربعة
والمثلثة ونحوها نترك فيها زوايا ضائعة وكذا المسبعة والمثمنة
تخللها أمكنه وفرج بين تلك البيوت كالدوائر لقربها منها فلما
المسدسات فأجلها أحكاماً وأبدعها إتقاناً وأنسبها للنحل وأجمعها
للعسل ولقد كنا درسناه تلك السنة على استاذنا بهذه الطريقة
وكان رحمه الله يعرف الفرنسية فلما رجعنا الى المدرسة قلت
له يظهر لي أنك أخذت هذه من اللغة الفرنسية فقال نعم
قلت له ولعلمهم نقلوها من كتب العرب وحكيث له بعض ما
اتفق لي فقال لعله يكون ذلك فوقر في نفسى من ذلك كله
اننا مخطئون في الجهل بهذه العلوم وان ديننا يأمرنا بها

أشد من الأمر بالصلاة والعبادات الظاهرة وطالما ذكر
الغزالي في الاحياء النحل والعنكبوت ويذكر من هندسة
الثاني واتقانه خيوطه وأحكامه لنسجه ما شاقني للوقوف على
الهندسة حتى أعرف تلك الصنعة الدقيقة ولقد سمي كتابه
أحياء علوم الدين وجعل العلوم كلها علوم الدين الاسلامي
وسمى ما شغف به علماء الاسلام في جميع العصور بالتقشور
فكان ذلك يعثني على الطاب دواماً . وكيف تقنعني فلسفة
اليونان التي ترجع الى الأمور العامة أو أقنع بما يلقيه الدين
وأكون مقلداً له في أن العالم منظم ونفس الدين والواجدان
يطالباني بالتحقق من نفسي وطالما بحثت عن شكل للعنكبوت
غير مشوش يظهر لي فيه جلياً حسن نسجه وان فيه نسباً
هندسية فلم تكد نفسي تقنع بما ترى حتى كدت أياأس الى أن
اتفق ذات يوم وأنا في رياضة ان شاباً معه كتاب باللغة
الانكليزية مرسوم في أوله صورة نسج العنكبوت يسمى
القراءة المكوكية وكنت اذ ذاك أعرف صروفاً من اللغة
وبعض كلمات فاخذت الكتاب وتأملت الشكل وقلت للفتي

ترجم فترجم فانبهرت من القول وعجبت من الشرقي وجهله
والغربي وعلمه وقلت أرني بقية الأبواب في الكتاب
فاسمعي جملا منها حتى عرفت مقصود الكتاب فزاد استغرابي
وقلت من يسمع عني من يفقه مني نهج الانجليز في تعليمهم
على نهج كتابنا الكريم ونهجنا نهج أجهل الأمم في تعليمنا .
هذا القرآن يأمرنا بالنظر في الأشياء جميعها وهذا الغزالي
انذر وحذر ونظر وقال معني دين الاسلام أرق مما عليه
الناس . وها أنا أبحث عن شكل من الاشكال التي يعملها
الحيوان فلم أعر عليه الا في كتاب انكليزي . فاخذت أدرس
تلك اللغة لاستطلع آراء القوم وعلومهم وأقارنها بما عندنا
واتفق ذات يوم أني أحادث أحد المدرسين الانكليز ومعه
كتاب من كتب الدراسة وأنا لم أزل في تهجئة الحروف
والنطق بالكلمات فرأيت شكلا في الكتاب ذا خطوط سود
وبيض مقوسة ومستقيمة فقلت ما هذه فقال طارق الشهب
والنيازك أثناء تساقطها من السماء فقلت أكل تعليمكم للناس
على هذا النمط فقال نعم ان الطفل يأخذه أبواه للحقول

والرياض ويربانه الأشكال والأزهار والألوان ويفهمانه
مقصودها فقلت ان هذه تعاليمنا باعتبار ديننا فرأيت الرجل
ظهرت عليه هيئة الإنكار وكان يعرف بعض العربية فقلت
له لا تعجب وان شئت فاسمع هذه الآية ومتى لم تفهم شيئاً
فاستفهم ثم قرأت له (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا
به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف
ألوانها وغرايب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف
ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور)
ثم قلت ان الله يقول في كتابنا ان من يعرف هذه الغرائب
ويتأمل الثمرات والألوان والجبال واختلاف أشكال خطوطها
يعرف غرائب النبات والحيوان والإنسان فهو العالم الذي
يخشى الله وهم هم الخواص ومن عداهم فعامة جهلاء وذلك
لا يكون الا بقراءة هذه العلوم فقال لي لماذا لم تسيروا على هذا
النهج فقلت دولة شيخة لدنيا بقايا العلوم لضعف الأمة وانحطاطها
وهاهي الآن أخذت ترجع شابة فقال اذن نحن المسلمون لا أنتم
وكان الرجل يصدق ما أقول اثقت به في المحاورات التي دارت بيننا

ولقد عرفني أدور مع الحق كيفما دار فلما سمعت منه ذلك
لزمت الصمت وبهت وزادت حيرتي وأخذت أنشر المقالات
وأصنف الكتب وهذا دأبي وديدني . ثم ان ذلك الانجليزي
عرض على ذات يوم حديثاً في ورقة وهو (علو الهمة من
الايمان) وسألني ايضاح معناه وتفسير مغزاه فقلت فسرته أنت
فقال ان علو الهمة من الدين الاسلامي فقلت هذا تفسير
أكثر أهل العلم عندنا فقال وهل عندكم غيره فقلت نعم ان
الايمان هو التصديق ومعرفة السئ بالتحقق مع الاطمئنان في
المعرفة فمن عرف التجارة مثلاً وأطمأن لها وصدق بثمراتها
شاقته ومنى شاقته علت همته فيها وهكذا الحياكة والفلاحة
والسياسة والدين فمن وقف على حقيقة شئ من ذلك علت
همته فيه حتى يجحد ثمرته فالمعرفة أولاً والعمل ثانياً فقال هذا
معنى عجيب ومن أين أخذت هذه المعاني فقلت من كتب
الاول في شباب الدولة العباسية اذ كانت دولتنا شابة كدولتكم
وعلمنا فتى كعلمكم فقال وهل في البلد الآن من يعرف فقلت
نعم ولكنهم قليل فقال عجباً كأن نبيكم لما رأى العرب على القطرة

يرعون الغنم أخذ يلوي عنان رغبتهم الى العقول والتفكر ثم
أشار الى رأسه وقال فهو يقول لهم رؤوسكم رؤوسكم عقولكم
عقولكم ثم اعملوا فأمرهم بالتعقل ثم العمل فايقظهم بذلك اه
﴿ الجوهرة العاشرة . النظر في كتب علماء الانجليز ﴾

رأيت النظر في علوم القوم وأرائهم وكتبهم صاروا اجبا
على حتى يتسنى لى ان أدرس أراء الشرقيين والغربيين وانظر
هذا الدين وانى ليجدر بى أن أقص عليك نبأ بسيطها اتفق لى
أيام محاتنى بالجامع الازهر الشريف ذلك انى كنت اذا فقلت الى
الريف أشغل أيامى بالنظر فى العالم فكان هو درسى وشغلى كما
قدمت واذكرانى وقت ذات يوم مساء على الجسر ذى القضببان
المعدة لمروور الوابور فقلت أنا أقرأ فى الازهر العلوم وابحث
عن العالم وهذا الطريق والوابور وضعهما قوم من الاوروبيا
وبين فيا ليت شعرى ما يقولون عن العالم وصانعه وامل عندهم
مالا نعرفه ولقد شغلتنى تلك الفكرة أمداً طويلا وهأنا
الآن أقول قد عثرت على كتبهم وقرأت الكتب المتداولة
بين التلاميذ فى الابتدائي والتجهيزي فرأيت ميل القوم الى

معرفه العالم سارياً الى هذه الكتب وهذا النسق هو المطلوب
 في تعاليمنا الاسلامية على شريطة أن يتخلل تلك العلوم ذكر
 الله معها حتى يكون القاري مستحضراً له في فؤاده . ولم تكن
 تلك الكتب غاية مطلبي ولما عثرت على مؤلفات العلامة جون
 لبك الانجليزي المسمى اللورد أقبري الفيت ضالتي المنشودة
 وبغيتي المقصوده وشعرت عن ساعد الجد لقراءة كتبه وقلما
 قرأت باباً من أبوابه أو كتاباً من كتبه الا وجدت عجباً
 عجيباً وأسلوباً غريباً فيا ليت شعري كيف أجد قوماً في العالم
 يميلون الى ما أميل اليه ويجدون فيما سمعت اليه وكيف
 بحثت في الحقول وقتشت في الازهار ونظرت في الانهار
 ولم أترك شاردة ولا واردة الا اتبعتها ولا غريبة نادرة الا
 اقتفيتها . ثم أجد ذلك مشروحا في كتب القوم واني لأعجب
 إذ قرأت في كتاب مسرات الحياة له في الفصل الاول يقول
 ان علماء الدين قلما وجهوا أنظارنا الى ما نراه بأعيننا ونسمعه
 بآذاننا كل يوم وما نمر عليه من الآيات ونحن عنه غافلون .
 نعم يوظفوننا ويلفتون عقولنا ولكن لما نلابسه من الماء كل

والملابس والصحة وما أشبه ذلك مما تشاركنا فيه أخس
 الديدان وأتعمس الحيوان وأدنى الحشرات. ولعمرك لم يشاءوا
 أن يحركوا من وجداننا ويوقظوا من غفلتنا وينبهوا من
 شعورنا الى ما حولنا من جمال وبهاء وحسن وكمال في بدائع
 المخلوقات ومحاسن الموجودات في الحقول والحدائق والجنات
 فذلك الجلال والمجد لا ينال ادراكه الا الانسان خاصة وبه
 وحده يعرف حب الله وعنايته ويمشقه قلبه ويميل اليه بعقله.
 يأمرونا بعبادته ولكن في حجة ضيقة ولم يشاءوا أن يرسلونا
 الى الحقول والمناظر الطبيعية لننظر ذلك الصنع البهيج والعمل
 الجميل وقصروا هممتنا على النظر في عيوب النفوس الخاها ولما
 وقفت على هذا قلت يا ليت شعري من لي بأن يقف الكاتب
 على ما تضمنه القرآن الشريف ويتأمل قوله تعالى (أو لم
 ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من
 شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده
 يؤمنون) وهذه الآية افطع ما نذره للبشر يوجب الانسان
 على عدم النظر في بواطن علوم السموات والارض وهو المعبر

عنه بالملكوت وقوانين الاشياء التي ذراها الله وأنذرهم بقصر
 الآجال وذهاب الأمم من الوجود فكانه يقول من لم يقطن لهذه
 ساءت حياته فقصرت زماناً اذ لا قوام لها لذهاب العلوم فيم
 الخراب واذا كانت المادة ولا علوم تفيد العقول عاشوا عيشة
 الجهلاء لا يفقهون للحياة معنى ولا للعقول ثمرة فحياتهم أقصر
 من يوم فيوم من عليم أفضل من آلاف السنين من الرجل
 البهيم والاعم كالافراد في ذلك فان لم تعرف الامة علوم
 العمران وتنظر في الخليفة ساءت حالها وضل رجالها وقصرت
 آجالها ونجست أنفاسها وساء مصيرها ذلك مغزى الآية
 وتفسيرها ومقصودها ومرموزها فقال : أى قول أجمل من
 هذا وأبين وأحسن وأصدق فيؤمنون به ويصدقون بمضمونه
 ويقول الله في آية أخرى (قل انظروا ماذا في السموات
 والارض) ويقول (وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم
 أفلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون) ويقول (ولم
 من آية في السموات والارض يرون عليها وهم عنها معرضون)
 الى غير ذلك من الآيات والحكم وأنا الآن أكتب هذا

وأعجب كل العجب من الشرق والغرب وكيف غفل أهل
 أوروبا عن الدين الذي يناسب مشارب عقولهم ويلائم أفكارهم
 ويوافق آراءهم . دين من قرأه لا يرى فيه الا العلوم والمعارف
 كما سأوضحه لك بأجلى بيان ان شاء الله تعالى في هذا الكتاب
 وأذكر ماورد فيه من الحث على العلوم ومكارم الاخلاق وأن
 قصصه ومواعظه كلها ترجع الى دينك الامرين وكذا عبادة
 الله من الزكاة والصيام والحج فانتظر البيان في الكتاب . أنا
 أعجب كيف أغفله الشرق وكفره الغرب هذا . وقد كنت حين
 قراءة كتب العلامة جون لوك أولف في كتاب نظام العالم والامم
 فنقلت منه ما سرفني وخلصت الكتاب في كتيب سميته الزهره
 ووضعت فيها جملا من كلامه وكلام الشيخ الغزالي وأهديتها
 له وأرسلت له خطاباً هذا نصه « تحية وسلاما من شرقي
 مشوق الى عالم عظيم غربي جمعتني وإياه روابط الحكمة
 والشوق الى الحقائق والبحث عما في هذا العالم من الجمال
 والبهاء واني وأنا أكتب هذا مشرف على مافي خزانة الخيال
 من جمال غابر ومستقبل جميل زاهر فأما الاول فهي تلك

الحكمة الزاهرة العربية والكتب الفلسفية ككتب ابن رشد
والغزالي وابن سينا والفارابي وما خلصته من آرائهم ومزجته
بما عن لنا من علوم الغربيين الاوروبيين وأما الثاني فاطلاعي
على بعض كتبكم ككتاب جمال الطبيعة ومسرات الحياة
ولقد عجبت من تطابق الشرقي والغربي وزاد تعجبي اذ
رأيت شوقكم وفرحكم بما جبلت نفسى عليه في حداثة سني
من التأمل في العالم وجماله وحب البحث عن العلماء السابقين
واللاحقين حتى أنى ما درست ذلك القليل من اللغة الانجليزية
إلا حباً في مطالعة كتابكم . ومن العجيب انى أرانى مشوقاً
اليكم وأرى عقلاء بلاذى مشوقين لما أكتب وهذه قد
أحدثت عندي أمل أن أكون وسطاً متناسباً بين الطرفين
فأصل ما بين علماء المشرق والمغرب وأطلع كل فريق على
ما لدى الآخر . وأرجو أن أفق حياتى على ذلك حتى يتسنى
للمشرك أن يعرف الغربى وللغربى أن يعرف الشرقى وانى
الآن أجد نفسى أشرفت على عالم الجمال واستولت فى مقعد
الجلال ورأيتها تطالبني ان أثبت لاخواني الشرقيين ما أحبه

وأميل اليه ولقد كنت أرى كثيرا من النفوس في الاقطار
 الاسلامية تصبو الى ما أكتب في ذلك ولما وقفت على قليل
 مما كتبتم أخذت الدواة والقرطاس ونقلت ملحا ولطائف من
 كتاب جمال الطبيعة وقارنتها بمقالات بعض العلماء في الاسلام في
 القرون الاولى وأتبعها بآيات من كتابنا المقدس وعجبت كيف
 كنت أجد هذا الوجدان في نفسي ثم أقرأه في كتب العرب
 ثم في القرآن ورأيت أن هذه هي مناهجكم بنصها وفصها وإن
 أكثر بلادى غافلون عن ذلك فنشرت هذه الرسالة المهداة
 اليكم بينهم بعبارة يالفونها وهما هي رسالة اليكم اعترافا بفضلكم
 وابتداء لصلة التعارف وهذه تجعل عندي أمل ان أستمد من
 آرائكم ما به أوفي هذه المباحث لأرى أمتي وأبناء جنسي
 ما اندرس من علوم آبائهم وأقارنه بما جمل من آثاركم وأقبل
 التحية من المخلص . فأجابني بما يعرب عن شكره وسروره
 وارتياحه وأهداني كتابه جمال الطبيعة وأذن لي بترجمته وقد
 ترجمت أحسن ما في ذلك الكتاب بعد ذلك ووضعت في الجزء
 الاول من كتاب نظام العالم والامم وقد طبع وانتشر ودارت

بيننا المكاتبات آنا فانا وهالك بعض ما كتبناه في الزهرة
﴿ الجوهرة الحادية عشرة مقارنة بين علماء المشرق والمغرب ﴾
ومن العجيب أن يتحد على هذا المبدأ الشرقي والغربي
فهل لك أن تعيرني التفاتة وتصني الى ما انقله لك عن العالم
الشرقي المتوفى في أوائل القرن السادس من الهجرة حجة
الاسلام الغزالي وعن العالم الغربي السياسي الكبير جون لباك
الذي يشاركنا في الحياة ويتمتع معنا بضوء الشمس وهبوب
النسيم وتتأمل سيدي كيف اتفق الرجلان واصطحب العالمان
واتحد الرأيان . أو ليس من العجب بل من أهنا السعادة في
الحياة أن يبحث كاتب هذه الرسالة عن الاتحاد بين الشرقي والغربي
فيعثر عليه وهانا املى عليك أولا كلام حجة الاسلام الغزالي
ثم نطابقه بكلام العالم المصري . قال الغزالي رحمه الله
في باب الحب (إن المدركات كلها التي هي شاهدة على الله
انما يدركها الانسان في الصبا عند فقد العقل ثم تبدو فيه
غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد
أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها فسقط وقعها عن قلبه بطول

الأنس ولذلك اذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا
 غريبا أو فعلا من أفعال الله خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه
 بالمعرفة طبعاً وأعضاؤه فقال (سبحان الله) وهو يرى طول النهار
 نفسه وأعضائه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة
 لا يحس بشهادتها لطول الأنس بها ولو فرض انه بلغ عاقلاً
 ثم انقضت غشاوة عينه فامتد بصره الى السما والأرض
 والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة
 خفيف على عقله ان ينبر لمعظم تعجبه من مشاهدة هذه
 المعجائب خالقها . فهذا وامثاله من الاسباب مع الانهك
 في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة
 بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة . فالناس في طلبهم
 معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل اذا كان راكباً
 الحمار وهو يطلب حمارة والجليات اذا صارت مطلوبة صارت
 معتصة . فهذا سر هذا الأمر فليتحقق ولذا قيل
 لقد ظهرت فلا تخفى على أحد
 الا على أكمه لا يعرف القمر

لكن بطننت بما أظهرت محتجبا

فكيف يعرف من بالعرف قد ستر
وقال العلامة چون لبك . ما أسعد الناظر في جمال الخليفة
إذ تزين له العوالم وتسفر عن أبهى جمالها وزينتها . وما فصول
السنة الا احباؤه القدماء وأصدقائه الندماء يجددون له اللذات
ويعيدون له السعادات واذا مشى منفردا تجلى له من الطبيعة
ما تقر به عينه ويشعر منه باللذة والسعادة فتطال له الازهار من
سياجها أو تخرج باسمه من أرضها وتغني له الطيور على اشجارها
محاطة بأوراقها الناضرات وأزهارها الباسمات فاذا انقضت
تلك السنون أعقبها الذكرى السارة وخلدت في صحائف مخيلته
وذاكرته ما يرتاح له ضميره فهو إذن ما بين حاضر جميل وغابر
لذيذ : الناس في هذه الدنيا في غمرة ساهون منغمسون في تيارها
تحت رحمة أمواجها فلا مناص لهم منها ولا قوة لهم على دفع
حوادثها الا في أوقات قليلة . أقول فكأنه اقتبس من مشكاة
قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله
ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) ثم قال وليس

حب الطبيعة ما يبتاده كثير ممن لا يعلمون فيجمعون ما جل
 من الازهار وينثرونه على الارض ولعمري كيف يهان هذا
 الجمال الباسم والحسن الباهر. أهذا حب الطبيعة وجمالها. ساء
 ما يحكمون. اضاءة الجمال واهانتة أشنع اضاءة وانحسها .
 لو تصورنا أن هذه الدنيا طالت ايامها وقلت حوادث الشروق
 والغروب فلم يكديس مع الرجل بالصباح والمساء الامر
 واحدة لاشتاق الى ذلك أشد الاشتياق وفرح بما
 يبدو له من ذهب أصفر فافع . جمال الشمس في شروقها
 وغروبها سعادة في نفسه يترقق حسنه على بساط البسيطة
 في الصباح والمساء . لكننا لا نغير جمال الطبيعة التفاتا لأنها
 حاضرة لدينا مشاهدة أمامنا صباحا ومساء فهانت على النفس
 بتكرار المشاهدة قال مسكير عن ارسططاليس اذا تصورنا
 قوم عاشوا تحت طباق الثرى في منازل جميلة مزدانة بالتمائيل
 والصور قد أوتيت من كل شئ حتى يحسبهم كل من أطلع
 عليهم أنهم أسعد الناس حظا في الحياة وأرقاهم منزلة فاذا فرض
 ان الارض انشقت فخرجوا من تحتها ونظروا هذا العالم فلا

جرم أنهم ينسون نعيم بيوتهم الأرضية ويهجرونها ويخرجون
 سراعا . فياليت شعري كيف يكون سرورهم وفرحهم
 وتأملهم اذا نظروا هذه الارض وجمالها والبحار واتساعها
 والانهار وجريانها والرياح وهبوب عواصفها والسحاب
 الملقحات والشمس ونورها واشراقها وجمالها وعظمة الخالق في
 ابداعها وتأملوا القمر وهو يبدو دقيقاً ثم يتساقط كما قيل
 المرء مثل هلال حين تبصره يبدو دقيقاً ضئيلاً ثم يتساقط
 يزداد حتى اذا ما تم أعقبه كره الجديد ينقصا ثم ينمحق
 ثم تأملوا النجوم وهي تتلألأ في السماء مشرقة بهجة وعرفوا
 حسابها ونظامها في شروقها وغروبها فاذا تأملوا ذلك كله ولا
 حظوه فلا جرم يستنتجون منه أن لهذه الكائنات صانعا مديرا
 قادرا مهيمنا عليها وان هذه العوالم مصنوعات له . اهـ . أقول
 أليس هذا قبسة من مشكاة قوله تعالى (ولئن سألتهم من
 خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي
 جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون
 والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشربنا به بلدة ميتا كذلك

تخرجون والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك
والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم
إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما
كناله مقرنين وانا الي ربنا لمنقلبون) . وقوله عز وجل
(ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) أى الى
أى مكان يصرفون إذ لا محيصل لهم عما أجمع عليه خواص
نوع البشر وقوله تعالى (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين
اصطفى الله خير أما يشركون أمن خلق السموات والارض
وأُنزل لكم من السماء ماء فانبثنا به حدائق ذات بهجة ما كان
لكم أن تنبتوا شجرها أأله مع الله بل هم قوم يمدلون امن جعل
الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل
بين البحرين حاجزاً أأله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) ثم
بعد أن ذكر هذه العجائب التى شغف بها الفرييون أفاد ان
الامم المتدنية المسيطرة على العالم هى التى عرفت هذه العلوم وأن
أى امة خلت منها فانها تقع تحت سيطرة غيرها لا محالة فاشار
لهذا كله بقوله تعالى عقبها (امن يجيب المضطر إذا دعاه

ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض اءله مع الله قليلا ما
تذكرون فانظر كيف ذكر خلافة الارض بعد ذكر هذه المعجائب
الجميلة . واقد ذكرت لك ايها الاخ مقارنة بين علمائنا السابقين
وعلمائهم المعاصرين وآيات من القرآن فانظر كيف دلت علي
حكمة بالغة وعظمة تامة وتأمل الآن في آباء الأروبيين وما
كانوا يدرسونه ايام شباب الدولة الاسلامية وكيف كانت
تعاليمهم وخرافاتهم فاذا قارنت بين الآباء فارجم البصر وقارن
بين الابناء لتقف علي مرا كز الاولين والآخرين . ثم قلت
بعد كلام طويل ما نصه فهل لك ياسيدى بعد ذلك ان تقرأ
الايات القرآنية . وتخيّل الامّة العربية اذ ذاك وهي تترنم
بقوله تعالى (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما
يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين
والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم
فيها جمال حين يريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الي
بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق النفس ان ربكم لرؤف رحيم
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون

وعلى الله قصد السبيل ومنها جائز ولو شاء لهداكم أجمعين هو
 الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه
 تسمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب
 ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر
 لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره
 ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم في الارض
 مختلفا ألوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو الذي
 سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً وتستخرجوا منه حلية
 تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم
 تشكرون . والقي في الارض رواسي ان تميد بكم وأنهاراً وسبلا
 لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخلق
 لمن لا يخلق أفلا تذكرون . وان تمدوا نعمة الله لا تحصوها
 ان الله لغفور رحيم) فهذه وأمثالها معارف عند عامة العرب
 الاسلاميين فأدناهم من يقرأ هذه الايات ويعلم أن الله عز وجل
 أظهر قدرته وامتن على عباده بخلق السموات والارض لانها
 أعظم مشاهد للانسان ولما كان الانسان أعظم نتيجة لهما

أردفها بذكره وفي عجائب خلقه أبهر دلائل حيث خلقه من
 نطفة قدرة ثم صار أ كثر شيء جدلاً مع ان الأليق به أن
 ينظر الى مبدئه ويتفكر في ملكوت السموات والارض ثم
 عدد عليه صنوفاً من نعمه وضروباً من آلائه فذكر ما ينتفع
 به من الحيوان والنبات والماء النازل من السماء النافع لهما
 وذكر كثيراً من أنواع القسمين مما ينتفعون به وعجائب
 السموات ومنافع السكواكب والليل والنهار لتوقف هذه
 الأنواع عليها وذكر الجبال ومنافعها وما يبتدى به من
 علامات الطرق وبعبارة أوضح أقول أن الله ذكر في هذه
 الآية نعمه على عباده بخلق الحيوانات وان منها الماكل
 والملابس فآخذوا منها ملابس الشتاء وملابس الصيف ويتخذ
 منه الاعراب خيامهم ثم منها ما يحملنا وأمتعتنا الى الامكنة
 البعيدة ومع هذا كله فهي زينة يتجمل بها فيقسم أربابها
 بالابهة والجاه لما يرى عندهم من آثار نعم الله عز وجل وكم له
 من مخلوق في الأرض وفي السماء لا نعلمه فعلمونا قاصرة
 على ما نتفع به فلو بحثنا عما لا نعرف لكان ذلك ظلماً وجوراً

هو
فيه
اب
يخر
سره
ض
ذي
حلية
لكم
سبلا
خلق
وها
رب
جل
لأنها
لها

وعبثاً كمسألة الروح وحقائق الكواكب وغيرها ثم ذكر أنه
أنزل الماء من السماء فهو لشرابنا وطهورنا وسقينا وزرعنا
وأنعامنا وأن ينبت به الزرع وهو الحب الذي تقتات به
كالحنطة والشعير وما أشبههما وقدمه في الذكر لأن به قوام
أبداننا وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الأدم والدهن والبركة
وثالث بذكر النخيل لأن ثمرتها غذاء وفاكهة وختم بذكر
الأعناب لأنها شبه النخلة في المنفعة من التفكه والتغذية ثم
ذكر بقية الثمار اجمالاً ولما كانت الاجرام العلوية لا بد منها
لنمو هذه المخلوقات ولتهتدي بضوئها أعقب ما ذكر بذكر
تسخير الليل والشمس والقمر والنجوم فلعمري الحق ان من
لم تدهشه هذه العجائب فيوقن برب البريات لا بعدد عن
العقل والفهم بعد ما بين المشرقين . فان في بعض هذه فضلا
عن جميعها دلالات واضحات على كمال بارئها وجمال مبدعها
الحكيم وقدرته . وانظر دعاك الله الى ألوان الزرع كيف
اختلفت مع اتحاد الاضواء السماوية والماء والعناصر والهواء
والارض وما أغفلنا عما بين أيدينا فكيف جعل هذا أحمر

قائياً وهذا أصفر فافعاً وهذا أزرق زاهراً وهذا أخضر ناضراً
وهذا أبيض ناصعاً وهذا اسود قائماً وكل منها يتلون
ألواناً شتى وأشكالاً متخالفة فسبحانه وتعالى ثم هذه البحار
من أدل الدلائل وأعجب العجائب فقد جعل جل جلاله في
الماء جزءاً عظيماً من الملح لولاه لأتت بطول المكث ففسد
الهواء ولا نطيل بشرح ما احتوته هذه الآيات من العجائب
الخلقية والحكم الغريبة وإنما شرحها ومماثلها من آيات تبلغ نحو
سدس القرآن جميع العلوم التي يفنى الزمان وهي تتجدد وتزداد
وضوحاً مصداقاً لقوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي
أنفسهم) وقوله (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) هل لك أن
تنظر في هذه الآيات كيف ابتداء فيها بالكلام على السموات
ثم خلق الانسان فالحيوان فالنبات وأخذ يشرح العوالم كلها
واحداً واحداً وانتهى بنتيجة استخلصها منها وهي ان لهاصانماً
ثم انظر حكاية الالهة المتشاكسين وكيف احتال بعضهم ان
قتل إله الرحمة فانتزعت من بينهم ^(١) فانظر يارعاك الله كيف

خلف من بعدهم خلف قبضوا على زمام الامم بالعلم ودرس الفنون
التي يشير لها القرآن ويتفكرون ويعقلون وينظرون أما نحن
فما بقي لدينا منها الاحثالات فكأننا ورثنا آباءهم وورثوا آباءنا
فقلدنا قدماءهم وقلدوا قدماءنا ولم يبق لنا سوى الدعوى العمياء
والتبجح بقولنا أتبعنا القرآن

﴿ الجوهرة الثانية عشرة . القرآن والمسلمون ﴾

ومتأخروا الا فرنج

ثم تعجب يا أخي من هؤلاء الأقوام في ديارهم فانك تراهم
يعظمون الحكماء سنيكا الروماني حتى أنهم يضمون حكمه في
أوائل كتبهم ويقدمونها ويقتدون بأقواله ويعولون على آرائه
ثم ترى آيات القرآن بين ظهرانيهم أبداً وأكمل من
حكمه وأبهي وأبين وأنق في النفوس وأروح للمقول ولا ذكر
لك طرفاً من كلامه ثم اتبعه ببعض آيات من القرآن ثم أكل
الامر لك في حال قوم أضاعوا أجل نفيس لديهم وآخرين
خاضوا البحار وقطعوا القيا في والفقار وركبوا المهارى واجتأبوا
الصحارى وأخذوا يستمدون من آيات البشر . قال سنيكا اذا

وهبك إنسان ضيعة واسعة ذات أشجار وبساتين وحقول
وأنعام أفلا تعد ذلك منة جزيلة ومن ذا ينكر أن الأرض
وسعتها وجبالها وأنهارها أعظم عطية وأجمل هبة من مدبر
الكائنات . ولو أن رجلاً حباك دراهم ودنانير فلا جرم تعدها
هبة ومنة عظيمة . أو ليس الذي دفن المعادن تحت طباق
الصخور وكون في ظلمات الأرض الذهب والفضة وغيرها
من المعادن أكبر إعطاء وأجمل هبة . ولو أن رجلاً بنى لك
منزلاً من المرمر الجميل وزين سقفه بالالوان البديعة البهجة
وزخرفه بالذهب والاملاس وأسدا كه أفلا تعدها لديك تحفة
جميلة . أليس الله بنى لك قصرًا مشيدًا متين البناء ثابت الدعائم
قوي الاركان آمنًا من البوار بالنار والخراب بالامطار . سقفه
مزين بأجمل الالوان وأبهأها . مرصع بالدراريس اللامعة .
والاقمار الساطعة . والشموس المشرقة . فأضاء بالليل والنهار
وازدان بالانوار . فيه ما يحتاجه الانسان والحيوان . منه
يخرج الهواء لانفاس ترددها والضياء لاعمال نزاولها ونهتدى
سواء السبيل . ويتولد الدم الذي عليه مدار حياتنا والغذاء

المقيم لاجسادنا . الله عز وجل بث في الارض من كل دابة
 وفرقها في انحاءها وأنبت فيها من كل زوج بهيج من أنواع
 النبات متاعا لنا ولا نعامنا . سخر لرياح تجري متصرفة بأمره
 مختلفات في الصيف والشتاء . الله عز وجل كرم بني آدم
 وألهمهم الصنائع والعلوم . وركب فيهم النعمات وجبلهم على
 الاصوات المختلفة ليستقوا منها نعمات الموسيقى ويزنوا الا لحن .
 وهل نحن غرسنا في نفوسنا أصول العلوم والصنائع أم الله هو
 الذي ركب فينا تلك القوى الشريفة والملكات الفاضلة . الله
 سيدنا أخرج من ظلمات الطين نور العقل وأبرز هذه الصنائع
 والعلوم وجمال الموسيقى من ماء مهين . اشتق من سلالة من
 طين (يخرج الحي من الميت) اه ما قاله الحكيم سنيكا . وقال
 آخر من فحول كتابهم أكثر الناس في هذه الدنيا لهم عيون
 ولكن لا يبصرون بها وآذان ولكن لا يسمعون بها وأعظم
 منة من الله أن يفاض على المرء منحة الفهم والاعتبار وأن
 يعبر عما شاهده بعبارات تعقل عنه اه اليس صدر هذا القول
 قبسة من قوله تعالى (ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن

اية هو الانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها
 ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك
 هم الغافلون (وعجزه قبسة من قوله تعالى (الرحمن علم القرآن
 خلق الانسان علمه البيان) ولو علمت مقدار اعظامهم واجلالهم
 لمقام هؤلاء الحكماء لعجبت من أمة الاسلام كيف غفلت
 عما أبدع في القرآن من نفائس الدرر وبدائع الحكم في نفس
 هذه المناهج التي ينتهجها أكابر كتابهم . واذا كان علماء واكابر
 أوروبا وقادتهم يعظمون هؤلاء الكتاب فكيف بهم اذا تلوا
 من هذا المنهج قوله تعالى (ان في خلق السموات والارض
 واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع
 الناس) وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد
 موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب
 المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) أو ما هو
 أخصر منه لمن كان أذكي فقال في موضع آخر (الله الذي
 خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به
 من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره

وسخر لكم النهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم
 لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمتهم
 الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار (أو بما هو أوجز
 للخاصة فقال (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوفى
 إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) أما
 وخاطب ذوي الالباب بما هو أوجز فجمعه في خمس كلمات كما
 فقال (بديع السموات والأرض) ثم في كلمة وهي اسم الجاهل
 (البديع) وهكذا مما فاض به القرآن وهجره المسلمون لما ظنوا
 أهل العلم أن الفقه وحده كاف في السعادة والحياة والدين حتى
 الأفرنج فسبقونا شوطاً بعيداً في الماديات والأدبيات على نظام
 ما ذكرنا في تلك الآيات. أو أسننا نحو أولى بمباحث عليه القرآن
 ندرسه ونسارع فيه ولذلك وضعت كتاب نظام العالم والامم

﴿ الجوهرة الثالثة عشرة ﴾

(نتيجة المباحث السابقة)

كانت نتيجة مباحثي السابقة وما رأيته في الكتب الحديثة
 والمعلوم المصنفة أن العالم منظم ورسخ ذلك عندي كما

نسخة من كتاب المقدس وهو القرآن وقررت المباحث اليونانية المنقولة
 عنهم بمؤلفات ابن سينا والفرايبي وكتاب اخوان الصفاء وابن
 جابر والغزالي وكنت مقتنعا بأن العالم النباتي والحيواني لها
 توعية من الغاذية والنامية والمولدة والمصورة وهذا وان القوة
 عليم امية تنمي الجسم بانتظام واشكال متسقة وهذا كما أسلفت
 كتابا كان اجمالا وقولا غامضا حتي اتضح في أقوال علماء العصر
 الحاضر وتحليلهم وردهم النبات والحيوان الى عناصر مركبة
 لاطراف معلومة متلائمة الوضع ووضعوا لها الجداول والحساب
 في قواها الارقام من مائة كما أوضحناه في كتبنا لاسيما الزهرة
 نظام العالم وقلنا هناك أن الذرة والقمح والقطن موادها واحدة
 انما اختلفت البوتاسا والصودا وكان هذا قطننا وهذا قمحا لاختلاف المقادير
 مواد فظهر هناك بأجلى بيان قوله تعالى (وكل شئ عنده بمقدار
 الم الغيب والشهادة الكبير المتعال) عجبا كيف وصلت الى هذه
 الحقيقة التي كنت يائسا منها أشد اليأس وكنت أظن أن بيني
 وبينها بعد ما بين المشرقين وهكذا معادلات الكيمياء كتحويل
 الماء الى عنصره الأوكسوجين والادروجين وظهور قوله

تعالى (وكل شيء عنده بمقدار) وقوله (والارض مددناه
 وألقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصر
 وذكري لكل عبد منيب) وقوله (وهو الذي مد الارض
 وجعل فيها رواسي وانهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين
 انين يغشى الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
 وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعتاب وزرع ونخيل
 صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على
 بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) فهذه العلوم
 المشاهدة الان هي عين ما يطلبه هذا الكتاب . أنا أكتب
 هذا وأنا أعجب من كتاب بين ظهرائي هذه الامة ويطلب
 ما عرفه الغربيون وكأنني في وسط غريب فن لي بأن يقف على
 الملل على ما أقول ومن لي بأن يصل كتابي الى علماء اليابان و
 نحنا نحوم ممن يطلبون ديناً حقاً . ليس المقام مقام شرح العلوم
 وبيان القضايا اذ كتابنا هذا انما وضعناه لعملاء درسوا تلك العلوم
 فلاشارة لهذه القضايا تكفيهم والشرح والتطويل عليهم
 الشروح فقد استوفيناها في تصانيف مختلفة

﴿ الجوهرة الرابعة عشرة ﴾

(تربية الوجدان في الإسلام)

لقد ترك الشرقيون الطريقة التي أشار اليها القرآن
 شريف واتبعها الافرنج كما درسته في كتب الغربيين وكلاهما
 حص أبترو والطريقة المثلى أن يؤخذ النشء بدرس الأشياء
 صغرهم على شريطة أن يذكروا ربهم عند درسها وفهمها
 تكون ذلك داعياً لتربية حبه في القلوب وخشيته في النفوس
 لا تمر قاعدة أو عجيبة أو قانون طبيعي أو نظرية فلكية إلا
 يقرن بجلالة من سنها ويذكر من رسمها فيشب الفتى دارساً
 معلوماً محباً لمبدع الكائنات كما طلب نبينا صلى الله عليه وسلم
 قال كل شيء لا يبدأ فيه بسم الله فهو ابترا أو أجزم أو أقطع
 لا معنى لذلك إلا تذكر أن هذا المخلوق الذي أزاوله أو
 كله أو أدرسه أو أفكر فيه إنما هو أثر من آثار جلاله
 يذكر لتعانه ولذلك ترى كل سورة في القرآن الشريف
 بدأت بسم الله الرحمن الرحيم تدريباً على ذلك وتعلماً وتنوياً
 انتهاج هذه الخطة ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول

« اذكروا الله عند كل حجر وشجر » ومعناه ملاحظة مبدع
الشجر والحجر عند رؤيته أو درسه وتذكر أنه خلقه وعلى
هذا تنمو في المرء قوة الدين والوجدان وحب صانع العالم فيهابه
ويعمل له ويراعي عبادته وهذا بعينه هو ما قرره العلامة
سبنسر الانجليزى إذا بان أن التعليم لا يجدى بمجرد البرهان
بل بتربية الوجدان بالمحادثة والتذكير وترى هذه طريقة
القرآن والاسلام لا المسلمين اذ يذكر محاسن العالم وجماله
ويذكر بالشمس وغروبها وشروقها والكواكب وغرائبها
الى غير ذلك . أما تعليم الشرقيين المسلمين فانما يأخذون
الناشئة بالكلام العرضي والتطوح بهم فيما يرجع الى القضايا التي
تقوم حول فلسفة اليونان رداً على قوم وارايم التراب وانقرضوا
في الغابرين وذهبوا مع أمس الدابر وتراهم يناقشونهم في
قبورهم وينازعونهم في برازهم ويذرون ما خلق لهم ربهم
مما أبدع وأحكم ولم يعلموا ان علماء الغرب برعوا حتى قاربوا
دينهم القويم وصراطهم المستقيم فأحاطوا بنا الفقر والصغار
والذل والشنار واحتلتنا الأعداء وأحاطوا بنا من كل جانب

أما الغربيون فقد ورثوا الأرض بما أوتوا من العلم الناقص
ولكن مدنيّتهم ذاهبة إلى الزوال بما عصوا ربهم ولم يبذلوا العلم
على أساس متين أما وربك لو أنهم اعتقدوا أن هذه العلوم
عبادات وانها كالصلوات والقربات وانها نفسها الدين حقيقة
كما سأذكر لك بمئات من الأدلة كانت مدنيّتهم أثبتت المدنيات
فكانت المعاصي تزول والشرور تقل وخوف الله يلزم النفوس
ملازمة الخيال للذهن والتصور للعقل (انما يخشى الله من
عباده العلماء)

﴿ الجوهرة الخامسة عشر ﴾

(الأحزاب في أوروبا ومسألة الانسان والحيوان)

أذكر أني مرة بدت لي سائحة من الفكر في ترتيب
الحيوانات وصفاتها وغرائزها فرجعت إلى ما درست في المنطق
والحكمة وما سطره اليونان ونقله علماء العرب من أنها أنواع
لكل نوع تعريف خاص فيقولون الانسان حيوان ناطق
والفرس حيوان صاهل والكلب حيوان ناجح وهكذا ورأيت
نفسي تطالبني بأجلى من هذا وكان ذلك والليل قد أرخى سدوله

وكنت فارغاً من الشغل أيام البطالة وأنا تلميذ بدار العلوم وقد
 شاهدت ثعلباً يجري بالحقول خارج قريتنا فأخذت أجيل
 الفكر في ذلك وقلت ان لها غرائز وصفات وأحوالاً هذا
 ما كر وهذا بليد وهذا جبان وهذا جميل وهذا جبار جرى
 وكل منها أعطى من القوة والجسم والاعضاء ما يناسب
 استعداده كما أوضحناه في غير هذا المقام بأجلى بيان ويفقه من
 زاول العلم . ليس المقام مقام بيان بل انما نكتبه لعلماء الامم
 الدارسين وان لها عقولا ومدارك وغرائز كل بمقدار ما
 يحتاجه والانسان منها أعطى عقلاً وأعضاء تناسب حاجاته
 وما يلزم له في الحياة ثم قلت كيف يحاسب الانسان وهي لا
 تحاسب أم كيف يعذب وهي لا تعذب وهذا السؤال أبنته
 في كتاب ميزان الجواهر وأجبت عنه هناك بما يطول شرحه
 هنا ولا يهم ذكره ثم اطلعت على أحوال الاوربيين كبعض
 النهابست والفوضويين الذين انتشروا في انحاءها لاسيما روسيا
 وهم هم الذين ماجت بهم فرنسا والمانيا وانكثرا ولهم البطش
 والقوة فوجدت ان هذه الشبهة هي العامل الاول في مناواتهم

حكوماتهم وتفانيهم في دعوتهم وتماديهم في قتل الملوك
 والأمرء والعظماء وهم فرق وأصناف متشاكسون . فهروا
 الأمم وأبادوا الأغنياء قالوا ما أرباب الديانات الا مسيطرون
 بلا حجة ولا برهان ولا هدى ولا سلطان يقولون العذاب
 العذاب الحساب الحساب هذه الحيوانات أم أمثالنا لها
 نظمات وقوانين وسياسات كما تري في حكومات النمل
 والنحل ونسج العنكبوت وحيـل الطيور والجوارح وبنائها
 والاسود والتمور وما شا كل ذلك وما نحن الا أمة منها فكيف
 نحشر وهم لا يحشرون أم كيف نعذب وهم لا يعذبون هذه
 شبههم وهذه نحلهم وهذه آراؤهم ويستترون بقولهم أمام
 العالم . الانسانية . المساواة . والحقوق . الناس اخوان ولا
 معنى لهذا عندهم الا عدم الثقة بالاديان يريدون أن تمحي
 ويمحي ذلك التمييز بين الافراد لما شاهدوه أن ديننا نشأوا
 فيه عودهم على مثل ذلك التميز والظلم . وقد اطلعت على كتاب
 الاسفار للشيرازي فذكر الحيوان والانسان وأبان أن كل
 ذى روح من حيوان وانسان بل وكل ماله نفس نباتيه بل كل

ماله صورة معدنية ستحشر ولا معنى لذلك لبقاء أرواح
 ذوات الأرواح لتحشر في عالم يناسبها وصور ذوات الصور
 وكأن هذا العالم المشاهد يذهب شخصه ويبقى رسمه كل
 بحسبه فالحيوان والانسان بروحه فالراق برقيه والاخس
 بخسته والشرير بشره والبعوض بغطرسته والاسد بجراته
 تبقى غرائزها وآراؤها وصفاتها في أرواحها كما تبقى أرواح
 الانسان منعمة أو معدبة بصفاتهما التي كنتم فيها هذا ما أبانه
 الشيرازي في الاسفار مصداقا لقوله تعالى (وما من دابة في
 الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا اثم أمثالكم ما فرطنا في
 الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون) من لى بأن يقف
 أولئك الائم القوضويون والفرق المتشاكسون على ما أجاب
 به القرآن وما سطره الوحي قبل خلقهم بألف وثلثمائة سنة
 رداً على شبههم وإقتاعهم ثم يقول لهم (ما فرطنا في الكتاب)
 الذي كتبناه عندنا وهو اللوح المحفوظ الذي أودعنا فيه ما كان
 وما يكون (من شيء) فلا تترك حيوانا لنقصه ولا انسانا
 لفضله (ثم الى ربهم يحشرون)

* الجوهرة السادسة عشرة *

(فصل)

(نيس مذهب داروين جديداً)

لا عجب اذا تفكرت في سلسلة الحيوان أولاً واكتف بما
سمعت من التعاريف المنطقية ثم وجدت القوم في أوروبا يحثوا
فيها ودونوها وجعلوها سلسلة واحدة وكان ما كان بل العجب
كل العجب أن أقرأ هذا الموضوع بنفسه في الكتب العربية
كابن خلدون وتهذيب الأخلاق لابن مكسويه والرازي
وغيرها من كتب مشاهير العلماء فتقدراتهم جعلوا العالم دائرة
سموها دائرة الوجود فقالوا الله أبدع الملك فالمادة الاثرية .
فالجماد . فالمدن . فالنبات . فالحيوان . فالإنسان فالملك هكذا
الله

الإنسان الملك
الحيوان
النبات
المدن
الجماد

وقالوا إن الجماد أدنى مرتبة من المعدن والمعدن درجات
 بعضها فوق بعض أعلاها الذهب فالفضة وهكذا الى تمام
 المعادن السبعة ويلي الذهب أدنى النبات ويرتقي درجة فدرجة
 وأعلاه النخل لاستيفائه مكملات النبات العشرة المعلومة
 عندهم كالجمار والليف ولا بد بين كل نوعين من مخلوق يأخذ
 شها منهما وبعد هذا الحيوان ويرتقي شيئاً فشيئاً حتى يصل
 الى الحيوان المفترس ثم ما يقبل التعليم عن الانسان كالكلب
 وآخره مرتبة القرد ويليه الانسان قالوا ضعف القرد عن
 ربط الحيوان بالانسان لمشاكلته في الصورة والتقليد فقط وكان
 القيل رابطة في الذكاء والفرس في الادب والطاووس في الجمال
 الصوري والبلبل في جمال الصوت ثم قالوا ان سكان أطراف
 المعمورة أقرب الى القروء كقوم من الزنوج ومن في شمال
 روسيا ولا يزال الانسان يترقى كلما قرب من المناطق المعتدلة حتى
 يصل الى الجهات التي أنجبت الانبياء والحكماء والعلماء وهؤلاء
 أقرب الى الملك فلما وفقت على ما كتبوه وأوضحوه في محله
 لم أجد فرقاً بين هذا وبين ما ذهب اليه دارون الا انهم نظموا

العالم فلادة منتظمة كأنها دائرة أولها آخرها وأرجعوها الى
 جمال الاحكام وحسن النظام وبهجة الاتقان وقد أشار الرازي
 الى خلاف حصل بين قدماء الحكماء . هل تولدت هذه
 الانواع بعضها عن بعض أم هي منفصلة . ولقد عجبت كيف
 سبق الافرنج بعلماء العرب في اتصال هذه السلسلة ولما خاطبت
 بذلك أحد حكماء الانجليز تعجب جداً وقال ليس تحت
 الشمس من جديد وهذا مثل مشهور

﴿ الجوهرة السابعة عشرة ﴾

(فصل)

علم الله قبل ان تخلق أوروبا أنهم سيخوضون في شأن
 الخلائق واشتراك الحيوان والانسان في الصفات والعوائد
 والسياسات وكان أرباب الدين السابقون وحكماؤهم السالفون
 اذا سألهم السائلون عن الحيوان وحياته والانسان وحدثه قالوا
 لهم الفرق شاسع ولا مناسبة بين الطرفين فالاول كالمعدوم
 والثاني يقرب من الملائكة الكرام بل بعضهم شرفه بل فضله
 فعبده واتخذوه آلهة كالفرعنة المصريين كما ذكر عن فرعون

(أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون) وقوله (ما علمت لكم من إله غيري) فبذلك الفرق الشاسع والبون البعيد بين الإنسان والحيوان كان الجواب للامم السالفة . والفلاسفة الغابرة حتى إذا قرب زمن رقي العلم والفلسفة وضع للعالم دين جديد حتى يرجعوا إليه إذا اكتشفوا نظام الحيوان وسياسته وحيله وعلومه ومعارفه بالتفصيل فاصبحوا يرون فيه كل يوم آية وأصبحت تلك الأحزاب إذا رأت العجائب تحسد الحيوان على هنائه وراحته وسعده في الفلوات وعزله في الغابات فلا هو بالعبادات والتكاليف ملزم ولا عليه مسلط قاهر ولا تميز بين طبقاته ثم حكم عليه أرباب الدين بالتلاشي مع أنه لا فرق بيننا وبينها إلا في الكم فلا بد أن نتلاشى مثله وتكون تلك الكاليف والعبادات والاحكام مخترعة مفتراة ولما أسسوا هذا الاساس بنوا عليه قصرين مشيدين أولهما الأ حَجَرَ على الشهوات ولا اثم في المحرمات ولا ذنب على أحد في عمل ولا دين ولا يقين والثاني فك الاغلال والحكومات والتميز بين النوع البشري اذ يدعى

بعضهم التأله والكبرياء والعظمة ويقيه ويتجبر بنسبته الى الاله
وان البقية عامة جهلاء لا يدخلون حماه الا باذن أولئك السدنة
والتقرب الى تلك الكهنة . جاء القرآن فيهدم ذلك الاساس
وقصر به والاصل وفرعيه أما الاصل الذي أفسده فانك تراه
يذكر في الحيوان انه ذو نطق كالانسان في مساق قصة
سليمان (يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء
ان هذا هو الفضل المبين وحشر سليمان جنوده من الجن
والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا أتوا على وادي النمل
قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده
وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان
أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وان أعمل صالحا
ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وتفقد الطير
فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبه عذابا
شديدا أو لاذبحه أو ليأتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد
فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبيل نبي يقين الخ) به
بما ذكر على ان للحيوان منطقا كمنطق الانسان يذكرنا ان

نهتم به حتى نقف عليه وأعقبه بأنهم أعطوا كل شيء كأنه يشير
 الى أن الامم متى علمت علوم الحيوان ارتقت اذ هو المعلم الاول
 ثم ذكر حديث النملة والهدهد وانذار الاولى لآخواتها
 واحتراسها من سليمان وهذا ليس المقصد منه حكاية بل مجرد
 التنبيه والايقاظ ويقظة الافكار الى العلوم من باب الكناية لم
 يقصد به الوقوف على الظواهر فحسب . وانظر كيف جعل
 الهدهد يعرف ما لم يعرفه سليمان وهو ماقاله القوضيون
 والاشتراكيون والنهابست وكل من قرأ أو علم مذهب داروين
 اذ رأوا من أعاجيب تلك الحيوانات ما أدهشهم حتى أصغروا
 الصنائع للانسان في جانب صنائعه ولقد قرأت في كتاب
 انكليزي ان النمل في صنعها والعنكبوت في نسجها لأجل
 وأبهى من صنع الانسان وتربيته فلا نساج في الدنيا ولا بناء
 يساوي العنكبوت في نسجه ولم نر عنكبوتاً غلطت يوماً في
 نسجها وبنائها ولا نحلة ضلت طريقها في غدوها ورواحها ولا
 أمالت حائطاً في بنائها والانسان غلط ساء يدرس الهندسة
 ويزاول أعمالها فاذا بنى أو حفر تراه يخطئ أياً ما وأياما يسهو

حيناً وحيناً فكان ما جاء في القرآن مناسباً من حيث فخواه لما
 أظهره الاكتشاف واياك ان يحمد طبعك على ظاهر القول
 فتعده حديثاً من الاحاديث بل هذه رموز أريد مغازيها لا
 ظواهرها . فظواهرها اقناع للجهلاء وبواطنها علوم الحكماء
 واحذر ان تكون في منزلة بين المنزلتين فلا انت من العوام
 المقلدين ولا من الحكماء المحققين فان الذكاء المحدود هذا
 حده فيضيع صاحبه وتعلم ان البلادة خير من الذكاء المحدود
 هذا وفي القرآن آيات غير ما ذكر كقوله تعالى (فبعث الله
 غراباً يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال
 يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة
 أخي فأصبح من النادمين) فهذه الاخرى افعدت الانسان
 عن طغيانه وأرته مركزه وأنه أحق أن يتعلم من الحيوان
 الاعجم ولا تطيل بمثل هذا ونقول ان الاصل الاول وهو أس
 الفوضويين والاشتراكين والنهليست قد انهارت دعائمه وخر بناؤه
 وتهدمت أركانه نخر عليهم السقف من فوقهم وبان ان الانسان
 والحيوان في الدين الجديد بينهما نسبة ومجاورة في الدنيا بما قدمناه

من الآيات وفي الآخرة بما ذكرناه من قوله تعالى (وما من
 دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أتم أمثالكم
 ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون) فهل بعد
 هذا بيان وبهذه الأدلة العقلية انهد شامخ واندك جبل وخر سقف
 عليهم من فوقهم فانهار عليهم . فلنبحث الآن عن أول الفرعين
 ﴿ الجوهرة الثامنة عشرة ﴾

أولهما انتهاك الحرمات وخرق سياج الادب بلا رادع
 يردعهم ولا زاجر يزجرهم مشابهة للحيوان ومطاوعة للشيطان
 وانه لا حشر لنا كما لا حشر لها وانا سنكون ترابا (ان هي الا
 حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك
 من علم ان هم الا يخرصون) ونحن اذ هدمنا الاصل انهدم
 ما فوقه ونزيد ايضا لما أسلفنا أنه يحشر كل بأخلاقه وأرائه
 شرفا وفضة وبعبارة أجلى سيمر المخلوقات في العالم من مدرسة
 الى مدرسة مدرسة الحياة ومدرسة البرزخ والحيوان جاهل
 لم يمكنه التعلم في الابتدائية فقير لم يصل لدرجة الاغنياء واخوه
 الانسان أمكنه بما أوتي من المواهب أن يلحق بالتلاميذ ويرقق

وجدانه ويلحظ جمال العالم ويشاهد حكمه ويتجنى عن المعاصي
 فلا يدنس روحه فاذا انتظم في سلك الجند المسافر الى الميدان
 واصطف في صف من حازوا درجة في الامتحان جاز المدرسة
 الثانية البرزخية. شرف لا يحلم به الحيوان. فروجه خالصة وأرواحها
 شهوانية ما بين سبعية وبهيمية . وهذا القول وأن يكن في
 العقليات أشبه بالفرض فهو أقرب حل يركن اليه نوع بني آدم
 في حياتهم كما قبلوا فرض (لا بلأس) في منشأ العالم وخلقه
 وأنه كان كرة غازية فتكورت وتدورت وكان منها شمس
 وأقمار وأرض الخ وبنوا عليه كثيراً من الآراء في العلوم
 والاعمال وكان مبناه التوراة في سفر التكوين فليكن هذا
 الذي ذكرنا ملجأ العقلاء في مصير العالم بعد الموت ليكون
 لهم اطمئناناً وراحة ومستندهم هذا الدين والآية المتقدمة . على
 أن هذا في الحقيقة ليس أمراً فرضياً وهمياً بل قامت عليه
 البراهين العقلية وأيدته الفلاسفة والحكماء . وليس المقام مقام
 ابراز البراهين عليه لئلا يخرج بنا القول عن الخطة التي رسمناها
 في هذا الكتاب والجادة التي انتهجناها فانما نريد الفرض من

أقرب الطرق وأسهلها على نفوس العقلاء . ومن لم تقنعه البراهين
العقلية ووقف في مواطن الشكوك والحيرة والاهتمام فلم
لا ينظر الى التاجر والصانع والزراع والجندى فاؤلئك يجدون
ويعملون طمعا في نيل ما يبتغون ويصبرون يومهم ويسرون
ليلهم ويجدون السير لا ليقين الثمرات بل لظنهم انها ثمر وكم
من مسافر أخذه اليم بسفينة وكم من مزارع اجتاحت ثمراته
البوائق وأهلكتها الصواعق فبارت وأصبحت أرضها صعيدا
زلقا وأصبح ماؤها غورا فلن يستطاع له طلب . وذلك دليل
على أن الثمرات ليست من اليقين في شيء وترى العقلاء قاطبة
يهرعون اليها ويصبرون قليلا ليربحوا كثيرا . فليس الشك بمنع
من العمل فللظن درجة عظمى في أعمال الانسان فلم لا تكون
تلك النشأة التي وعد بها الناس داعية للعمل في الحياة بالاحتياط
مرغبة في الحزم عند الذين يظنون ظنا ولا يوقنون . فلم لا يفكر
في هذا بعض الذين ينكرون من السوسية ليست (هم الاجتماعيون)
والنهلية (هم العدميون) (والكونيست) هم الاشتراكيون
في هذه النظريات ولا يحتجون بالحيوان فهو انما خلق للرقى

كجميع المواليد والى هنا وقف بنا الجواد في ميدان البحث
في الاصل الثاني

﴿ الجوهرة التاسعة عشرة ﴾

(الاصل الثالث وهو الفرع الثاني)

قال بعض الطوائف الثلاث الاجتماعيين والمدميين
والاشتراكيين كما قدمنا لا بمث ولا حشر كما تكون البهائم فلم
نري رجلا لا نعدم عظماء علينا يهيمنون على ارواحنا ويسيطرون
على اجسامنا يحكموننا ويقهروننا ويستحلون ما حرم فلم لا نشارك
الحيوانات في ملاذها وتصرفاتها ولم يتميز بمضنا عن بعض ونحن
شركاء في الحيوانية والناطقة وهذه الطبيعة والشمس والقمر
والهواء والماء والارض محيطات بنا من كل جانب فما الذي
ميزهم بالرفع ووسمنا بالخنض وظنوا هذا من لوازم الديانات
فنبذوها لما شاهدوا دين المسيح اذ لم يروا سواه نقول لهم
هذا القرآن أثبت ما ذكرتموه وجاء اشتراكيا اجتماعيا اذ جاء فيه
(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) فلم يكن لاحد فضل

على أحد الا بالتقوى وعمل البر وصلة الرحم والنفع العام حتى
 ورد في السنة (لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى) وورد
 يافاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً عجبالك أيها الانسان
 تعاليت وتشاخخت وتعاضمت في ملكوتك وتكبرت في عظمتك
 وترفعت الى الجوازه بل وسمت نفسك بالالوهية فقال فرعون
 اذ جمع الجموع وحشر الرجال . أنا ربكم الاعلى . فجاء في الكتاب
 الحكيم على لسان سليمان عليه السلام (يا أيها الناس علمنا
 منطق الطير وأوتينا من كل شيء) فجمع الاول جمعه لا اعلان
 الالوهية فطأطأ الثاني وخفض من حسدته وكسر من شرته
 فهذه ذلك الصرح الذي شيدده الانسان من قبل نخر كشيها
 مهيباً وتنازل الى الحيوان وجمع الجموع وناداهم بالبشرية
 ها أنا نبي ولقد أوتيت علماً عظيماً أعطيت علوم الطيور ففهمتها
 فأوتيت كل فضل وهذا فضل مبين . عرف الانسان قدره
 ولزم حده وزال التباين واتخذ الانسان الغراب أستاذاً في
 قصة ابني آدم بل دعا على نفسه بالويل وتحسر ان لا يلحق
 شأوه في العمل فقال (يا ويلي اعجزت ان أكون مثل هذا الغراب

فأورى سواه أخى فأصبح من النادمين) أبان لنوع الانسان
 في القرآن تقارب بني آدم اذ علموا تواضع أنبيائهم فوجب
 تواضعهم ونبد الكبرياء والعظمة هذا وترى ابن العربي في
 الفتوحات يتجاوز في ذلك حتى عد الحيوان أعلى درجة واسمى
 منزلة مستنداً على علومها ومعارفها ونظامها وأحكامها وما
 أوتيت من خدمة الانسان وكنسه لروثها واحتياجه لها بل
 استدل بفداء اسماعيل بكبش فكان الفداء لنبي من الانبياء
 عنواناً على فضل الفدية وهكذا تعالى تبعاً للخيال بل اتخذ
 منه الاساتذة والمرشدين . واسمنا نقصد الا ان شريعتنا
 أعطت الانسان درجته الخاصة به فلم ترفعه الي درجة يتميز
 بها البعض ولا انزلته عن درجته بل رفعته عن الحيوان وانزلته
 عن الالهية (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر
 ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً)
 فانظر كيف استوي الناس في مقام الوسط فصاروا اخواناً
 أخذنا وتراه تعالى يقول (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى
 كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً

ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا
 اشهدوا بانا مسلمون (أمراء تخص العبادة والخضوع
 بالله وحده لا شريك له وان لا يكون لاحد فضل على أحد
 بل يكون الناس سواء أمرهم شورى بينهم. جاء في الكتاب
 في اليهود والنصارى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من
 دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً
 لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) وسئل صلى الله عليه
 وسلم فقل كيف يعبدون الأحرار والرهبان فقال أليسوا
 يسنون لهم السنن ويشرعون لهم الشرائع إلا فليتفطن العقلاء
 ولينظر البلغاء والحكماء وليعلموا أن الامر بالتوحيد وكسر
 الأصنام ونبد التثليث كل ذلك لم يكن الا لتكسير قيود
 الرق والاستعباد وتقارب نوع الانسان. أتدري ما أثر هذه
 الآيات أثرها ان الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل الى ملوك
 العالم قاطبة أرسل الى قيصر وكسرى وملوك العرب وهذا
 خطابه الى قيصر. من محمد بن عبد الله الى قيصر عظيم الروم
 السلام عليك أما بعد فاسلم تسلم يؤتلك الله أجرك مرتين فان

توليت فان عليك اثم الارثيين (الفلاحين) ويا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به
شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا
اشهدوا بانا مسلمون . هذا هو نص الخطاب المرسل الى
قيصر . تأمل كيف كان التوحيد هو السياسة وهذا هو مقصد
الاشتراكيين والعمديين والاجتماعيين في السياسة فعلى
هذا ترى دين الاسلام دين عمران وسياسة اذ ترى توحيد
الخالق نزع السلطان من نوع الانسان وحصر الكبرياء
والمعظمة في مدبر العالم ويقول (لقد كفر الذين قالوا ان الله
ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد ولئن لم ينهوا عما يقولون
لميمس الذين كفروا منهم عذاب اليم أفلا يتوبون الى الله
ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم الا رسول
قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر
كيف نبين لهم الآيات ثم انظر اني يؤفكون) نبذ التثليث
ترفعاً بالالوهية أن بناها البشر أو تحل فيه لئلا تضل السياسة
كما فعل القسيسون في أوروبا ولولا ان تدارك الله العالم

بالاسلام فافاض النور حتى انزاحت الغشاوة عن عين (لوتر)
 فنادى برفع الميزة بين البشر وترى الخلافة بعد النبي صلى الله
 عليه وسلم في الثلاثين سنة سارت على منواله وناهيك قصة
 جبلة بن الايهم وتصميم عمر على القصاص منه بالطمة اعرابي
 كسرت رباعيته وقوله له أن الاسلام ساوى بين الناس
 وانظر كيف يقول بعض الأصحاب لعمر وهو يخطب لوعلمنا
 فيك اعوجاجا لقومناك بسيوفنا وقصة عمرو بن العاص مع ابن
 القبطي في مصر معلومة اذ تسابق ابن عمرو مع ابن القبطي
 فضرب الاول الثاني وقال أنا ابن الأكرمين فبلغ عمر
 فاحضرهما بين يديه وضرب الثاني الاول بمحضر من الصحابة
 حتى اشتفى ثم قال عمر لعمر بن العاص متى اتخذتم عباد الله
 عبيداً . مضت الثلاثون فرجعت الخلافة ملكاً عضوضاً كما
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون ثم تصير
 ملكاً عضوضاً فلا بدع اذا كانت أمة الاسلام على ما هي عليه
 من التمايز بين الطبقات ونبد الشورى فذلك لنبد ما أمر به
 الدين . اعتاد أهل العلم أن يوردوا في هذا المقام قوله تعالى

أمرهم شورى بينهم ونحن نقول لو قرأنا ربيع القرآن وجدناه
 في رفع الميزة بين البشر. ترى قصة سليمان يقول فيها قالت (أى
 بلقيس يا أيها الملأ افتوني في أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى
 تشهدون ونرى هذا الكتاب الذي أرسله صلى الله عليه وسلم
 يدعو العالم أجمع للتساوى فى الحقوق ويدخلها فى الدعوة الى
 الحق ولئن بقى دين على الارض فلن يبق الا هذا الدين الذى
 هو السياسة الحقيقية فى العالم كما جاء فى الكتاب (هو الذى
 أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو
 كره المشركون) وسنورد فى قسم السياسة ما فيه غنى
 للفظان اه

﴿ الجوهرة العشرون ﴾

(منزلة العلوم من القرآن وكتاب العرب والافرنج)
 مزج القرآن مصالح الدين بالدنيا فأورد فى التوجيه
 وحب الله آيات تجمع حكمة الكون وبهجة العالم ونظامه
 فبينما يتأملها المبتدى لمعرفة الله ترى الذكى يشترق الى ما أبدع
 فى العالم من النظام والعجائب بل كثير من الآيات أوضح

مشكلات منها وانذر من أعرض عن التوسع في العلوم
الكونية من الفلك والطبيعة والجبال والأنهار والنبات والحيوان
والإنسان والروح وما يشمل ذلك من قوانين . وغير قوما
أعرضوا عنه وقرظ آخرين عرفوه ولكم قرر مسائل اكتشفها
المحدثون وأهمها الأقدمون كقوله في ناموس الترتي (أنزل
من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدار آيات
ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك
يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع
الناس فيمكث في الأرض) فتراه قرران مالا نفع فيه واز
ظهر واشتهر فما مثله الا كمثل الزبد على الماء وفوق ما في القدر
على نار الطبخ وفوق الحلية المعدنية آن اذا تبها بالنار لتصاغ حلية
فتري الباقي النافع للناس ما استتر بالغشاوة كالعلم اذا استتر
بالجهل فيبقى الماء والذهب والفضة الخالصة وما يطبخه الناس
فهكذا يبقى في الامم والاشخاص والعلوم ما يصلح لنفع الناس
وحياتهم وحاجاتهم ويذهب مالا ثمرة فيه وستري فيما سنور ذلك
في الباب الآتي وهو باب العلوم ان الدين باعتبار أصل وضعه

و نفس الدنيا والرقى في الحياة والمادة والروح وما مثل مصالح
 الدين والدنيا الا كالروح والجسد والمعنى والكلم وكيف تعقل
 المعقول الحكمة أو تنار بضياء الفهم وتبرز فيها شمس
 المعارف اذا لم تنجل لها تلك الانوار والاضواء المشرقة من
 محيا العوالم المشاهدة التي وجد فيها الانسان . هذه العوالم
 غذاءه فهي الغذاء وهي الدواء وهي المعقول ومنها تستمد آثار
 المعارف الحققة وتتلأ الافئدة منها حكما ومعارف فهي غذاء
 الاجسام بأحجامها ومخازن المعقول بمعانيها فهي بنية الاجسام
 ومعناها غذاء الارواح والعلوم والنبصرة . وورد في هذا
 الكتاب المقدس ما بين سبعة وثمانمائة كلها في الكون
 والاحاطة به وجاء فيه مقدار هذا العدد في الآداب ومحاسن
 الاخلاق والشيم وتهذيب النفوس والعجب من كتاب
 العرب والافرنج اذا أراهم اذا مدحوه أطبوا في معاملاته
 وعبادته وجميعاته واحسانهم ولم أر منهم من حام حول علومه
 فبرزها أو معارفه فأظهرها الا ما كان من حكم أو دعها الغزالي
 في مؤلفاته فقد أبدى نكتا وأودع ملجأ مع ما كان من غشاء

فلسفة اليونان والجدل والمناظرة وانصراف العقول عن العلوم
الى الفضول

﴿ الجوهرة الحادية والعشرون ﴾

(مباحث الاسلام ست)

وهي (١) العلوم جميعها وفي ذلك نحو ٧٠٠ آية (٢) نبذ
ما يشين العلوم من الخرافات والضلالات والبدع والاهام
كالا صنم والرقى والكي بالنار والتفاؤل بالشر وهذا من الآيات
ما يربو على الالف (٣) العمران والنظر في أحوال الامم
والسياسات وفي هذا أكثر القصص القرآنية (٤) الآداب
ولها من الآيات ما يربو على السبع مائة (٥) العبادات وهي عبادات
في صورتها آداب في معناها (٦) نظام الجمعية الانسانية
في شكلها من العقوبات والاحكام والحدود وهي في الحقيقة
ترجع الى نظام الدنيا بالذات والى الدين بالتبع نص عليه الغزالي
وهذا القسم وما قبله لها نحو ١٥٠ آية. وما كان أغلب اهتمام
الكتابيين على الدين الا بها وانى أربأ بقلمي أن يتجاوز أربعة
وعشرين جزءاً من خمسة وعشرين في الدين ويقف في جزء

يضيع فيه حياته وليس الايمان هو هذه العبادات وحدها
 كلابل هذه هي نفس الاسلام أما الايمان فانما هو تلك العلوم
 والآداب والعمران ممزوجة بهذه العبادات وسنو في كل مقام
 ما يستحقه وأنى أرى حياتي سعادة وهناء اذا لويت عنان عقول
 كثير من ذوي النظر الى اجتناء العلوم والمعارف الكونية
 باعتبار انهادين فمن أيقن بذلك تراه يقرؤها وهو يعتقد أنه في عبادة
 ولتعلم أن علماءنا رضي الله عنهم يقولون أن جميع الاعمال
 الدنيوية متى عرف مقصدها في الدين كان لكل حركة فيها اجر
 ولكل سكون ثواب بل اذا نام الحكيم في مخدعه عدت انفاسه
 حسنات . واذا استيقظ فلحظاته ونظراته وكلماته وخطواته
 تكتب له في عليين فتثقل ميزانه وعندهم أن تفكر ساعة خير
 من عبادة سنة بل لحظة من الفكر خير من حياة الغافل وعابد
 بلا علم كشجرة بلا ثمرة . وربما ظن العاجز في الدين أن ذلك
 العلم هو معرفة أحكام الصلاة والصيام الى آخره كلا فهذا لم
 يخرج عن كونه معرفة عبادة عملية إما العلم المقصود فهو آيات
 الكون وحكمه ومجالي بهجته واثاره وهل ترى دليلا على

ما ذكرناه آنفاً أجمل من قوله (إنما يخشى الله من عباده العلماء)
بعد ذكر النظر في الجبال والأنهار والثمار والألوان
والدواب والأنعام

﴿ الجوهرة الثانية والعشرون ﴾

(مدح العقل من الأحياء)

نرى هذا الدين يأمر بالنظر والفكر والتعقل يقول
تعالى (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح) يمدح العقل ويسميه نوراً مظهراً لأشرفه وسمي العلم
المستفاد منه روحاً ووحياً وحياة فقال (وكذلك أوحينا إليك
روحاً من أمرنا) وقال تعالى (أو من كان ميتاً فأحييناه
وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس
بمخرج منها) يمدح العلم بأنه حياة ونور ويذم الجهل بأنه ظلمة
قال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا
بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه واعلموا أنه يخبركم
عن ربكم واعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان دميم
المنظر حقير الخطر ردىء المنزل رث الهيئة وإن الجاهل من

عصى الله تعالى وان كان جميل المنظر عظيم الخظر شريف
 المنزلة حسن الهيئة فصيحاً نطوقاً الحديث وقال صلى الله عليه
 وسلم « أول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فأقبل ثم قال له
 ادبر فأدبر فقال وعزني وجلالي ما خلقت خلقاً هو أعز علي منك
 بك أثيب وبك أعاقب وبك آخذ وبك أعطي وقال صلى الله
 عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم
 ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم إيمانه
 وأطاع ربه وعصى عدوه ابليس . وقال صلى الله عليه وسلم لكل شيء
 دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم
 قول الفجار في النار (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في
 أصحاب السعير) وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لنعيم الدار
 ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت . سألت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم كما سألتك فقال كما قلت . ثم قال سألت جبريل
 عليه السلام ما السودد فقال العقل . وعن البراء بن عازب رضي
 الله عنه قال كثرت المسائل يوماً على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال يا أيها الناس ان لكل شيء مطية ومطية المؤمن

العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلا. وعن أبي هريرة
 رضي الله عنه قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من غزوة أحد سمع الناس يقولون فلان أشجع من فلان
 وفلان وفلان أبلى مالم يبل فلان ونحو ذلك فقال صلى الله عليه وسلم
 انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت
 نصرتهم ونيلهم على قدر عقولهم فاجيب منهم من أجيبهم
 على منازل شتى فاذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر
 نياتهم وقدر عقولهم. وعن البراء بن عازب انه صلى الله عليه وسلم
 قال جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه وتعالى
 بالعقل وجسد المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فأعمالهم
 بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلا. وعن عائشة رضي الله
 عنها قالت قلت يا رسول الله بم يتفاضل الناس في الدنيا قال
 بالعقل قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت أليس انما يجزون
 بأعمالهم فقال صلى الله عليه وسلم لكل شيء آلة وعدة والآلة
 المؤمن العقل ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل ولكل شيء دعامة
 ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل

أنبياء تقوم داع وداعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة
 عليه المجتهدين العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين
 من العقل ولكل خراب عماردة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ
 عليه عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون
 كانت إليه ويذكرون به العقل ولكل سفر قسطاس وقسطاس
 حبيب المؤمنين العقل اهـ فاذا كان العقل عند رسول الله صلى الله عليه
 قدر وسلم بهذه المنزلة من الشرف وانه لا إيمان ولا دين ولا علم
 عليه ولا دنيا ولا آخرة الا بالعقل فليكن هذا الدين دين العقل
 تعالى والفكر لا دين تقليد ولذلك لا يسمى الانسان في نظر علمائه
 عمالهم مؤمناً مصداقاً بما سمع الا اذا عرفه بعقله وصدقته وأقام عليه
 الله البرهان وعندهم ان العقل اذا صادف النقل يقدم العقل عليه والنقل
 قال مؤول لمعنى يناسبه والا كان مما اختص الله بعلمه والله يهدي
 من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ الجوهرة الثالثة والعشرون ﴾

(الاقسام مفاتيح العلوم)

اعلم ان الله أقسم بأشياء مما خلق وعمد الى ما جمل شكله

وعظم نفعه وبهر حسابه فعدده في أقسامه . ولعمري ان النور ملك
البشرى لن يقسم الا بمعظم لديه أو بمسيطر عليه . يقول الوهاب
وحق والدى . وتقول الرعية ورأس فلان الحاكم . والجنداء العلوي
يقسم بشرف الجندي . ويقسم الوزراء بالملوك . ونسمع الرجل وهو
يخلف بعينه لما يرى من منفعتها وزيلتها . وقد أقسم الله بأشياء يغشى
عددها وصنوفاً من نعم أبدعها كالشمس والقمر والكواكب اذا
ولم يكن ذلك لخوفه منها فإنه الخالق لن يهاب ما خلق ولا يتبعه
يحتاج لما ذراً وأبدع . أقسم بها اذ رأى نوع الانسان يقسم على
عظم نفعه وعز عليه فالفهم وأيقظهم الى ما ذراً ونههم الى ما
مصنوعاته ليعرفوها فلم يرد أن يعبدوها اذ لا اله الا الله ثم أ
فالأقسام بها يرجع الى عزتها وشرفها ولم يكن ذلك لتحرير القس
على الحصول عليها وحوزها في حوزتهم فذلك مستحيل فرجع
الأمر الى العلم وفات الانسان أن يملك هذه العوالم ويسيطر
عليها اذ لا سلطان الا لواحد هو الله فكان المقصود من
الأقسام في حقهم أن يعرفوا جلالة ما صنع ويتبعوا حركات
الافلاك وعلوم الضوء وحسابه والمشارق والمغارب ويشرح و

لنفوس تلك الأجسام ويلاحظ حركاتها وسكناتها لترقي نفوسهم الى
 الوعاءات وشرفها فتراه عز شأنه أقسم عشرين قسماً بالأجرام
 من العلوية وخواصها وأضوائها ومواقعها تراه أقسم بالفجر والفق
 وهو الصبح والشمس والضحى والنهار والعصر والليل اذا
 شئ يغشى (يغطى) المخلوقات كأنه ملائكة منشورة عليهم والليل
 كبا اذا يسري يسير حول الكرة الارضية تابعا للنهار والنهار
 يتبعه وأقسم بالليالي العشر في أول كل شهر عربى لغلبة ظلامها
 على ضوئها وأقسم بالنجم اذا هوى تنبها على مغارب النجوم
 وإيقاظها وأقسم بمواقع النجوم وأما كتبها الواقعة فيها ودوائرها
 ثم أعقبه بقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم فاذا أقسم وعظم
 القسم فهل يكون ذلك الا لأتات النفوس اليها لتعرف مواقعها
 وقياسها وإبعادها وحركاتها وسكناتها وقال (أقسم برب المشارق
 والمغارب) أى محل الشروق والغروب وأقسم بالشفق وبالليل
 وبما وسق الليل أى جمع وأقسم بالقمر وبالسما ذات البروج
 تنبها لمعرفة السنون والشهور والأيام وأقسم بالسما
 ووصفها بانها ذات الحبك أى طرق النجوم والقمر اذا اتسق

أي امتلاً بالنور وأقسم بالسماء وعن بناها وأقسم بالنازعات وبالنب
 غرقا وهي النجوم التي ترمى شهباً عن دوائرها المشبهات بمحمد
 القوس فكان النجم انسان والدائرة قوس والشهاب الساقط بالخيال
 سهم وذكر انها نشطات في سيرها مسرعات فيه تتم دورانهم في
 كالشمس في سنة والقمر في شهر فقال (والناشطات نشطة في
 والسابحات سباحة فالسابقات سباقاً) أي النجوم التي تسبق غيرها في قسم
 وتتم دورتها سريعاً (فالمدبرات أمراً) وهي هذه النجوم لانها القياد
 بها يتم تدبير العالم فذكر هذه الكواكب والعوالم ومواقعها وأقسامها
 لنحرض السامعين على البحث عنها فيعرفون الفلك والميقات والبال
 وحساب الكواكب وإبعادها وأجرامها وتحليلها وأعدادها وتبعها
 بقدر الاستطاعة ويبحثون عن الضوء في الطبيعة ثم انه تعالى
 أقسم بذكر أشياء أخرى مما تحت الفلك وأحاط بالكرة
 الأرضية فأقسم بالرياح الداريات (وبالجبال فقال (والذاريات
 ذروا فالخاملات وقراً) أي الرياح التي تحمل السحاب وتذرو
 الأشياء. وأقسم بالارض وما طحاها فالارض مفهومة وطحوها
 حبيها وتسويتها واتقانها وأقسم بالجبل فقال وطور سينين

ارض والنبات (فقال والتين والزيتون) وبالبلد الذي خرج منه سيدنا
 محمد صلى الله عليه وسلم (فقال وهذا البلد الأمين) وأقسم
 على الخيل فقال (والعاديات ضبحاً) أي الخيل التي تعدو وهي تضح
 في الجري ضبحاً وأقسم بكل من يحس وكل ما يحس فكانه
 قسم بكل محسوس وبكل ما يحس بذلك الاحساس وكأنه
 قسم بالناطق والصامت فقال (وشاهد ومشهود) وأقسم بيوم
 القيامة ويوم الجزاء ويوم الميعاد الذي سيجازى فيه الناس
 وأقسم بالكتب المسطرة المنثورة وهي ما يقرؤه الناس وأقسم
 بالبحر ثم عمم القسم بكل ما خلق فقال (أقسم بما تبصرون وما لا
 تبصرون) فكانه أقسم بكل شيء إذ العالم قسمان ما يبصر وما لا
 يبصر وجاء بتعميم آخر فأقسم بالشفع والوتر ولا ريب أن العدد
 أما شفع أو وتر هذه نحو عشرين قسماً أحاط بها الأرض
 والهواء والسحاب والجبال والنبات والحيوان وخصص
 الإنسان منه فقال (ووالد وما ولد) أي أقسم بادم وأولاده وغيرهم
 وخصص ذلك بعد فقال (ونفس وما سواها) فأقسم بالنفوس
 وتسويتها فتراه أقسم بإبامهات العالم كلها وأخيراً أقسم بكل ما

خلق مما نشاهد ومالا نشاهد تفيد هذه الأقسام بالعلوم الإلهية
وهي تبلغ العشرين وبالسفليات وهي تبلغ العشرين أيضاً
الله أمر عباده وأوجب عليهم النظر في العلويات والسفليات
بالتساوي وفي الحساب والهندسة والطبيعة والكيمياء وعلم
ال عمران والنفس وجميع العلوم اذ لم تخرج في البحث عما ذكر
في تلك الأقسام التي أقسم بها مبدعها وكأن الامة التي جهلت
ما أقسم به وأعرضت عنه ولم توفه حقه في النظر فقد أعرضت
عما أقبل عليه مبدعها وأزورت عما أراده خالقها . جعلنا هذه
الأقسام مفاتيح العلوم لانه ذكر جواهر الأشياء فيها ليلفت
اليها العقول ويحرض على البحث عليها العلماء والأئمة ولم نقل
انها العلوم لان الايات التي سنذكرها قريباً سنعطي لكل
جوهر من هذه الجواهر قسطه وتوفيه نصيبه غير منقوص
فاذا طالعت أيها القارئ ما سأقص عليك من كتاب الله
تعالى والآيات الواردة في الخوض على العلوم فستعجب كل
العجب ولتجدن ان الدين دين العلوم والحكم . دين عمران
والنظام . دين المدنية الحققة . دين رقي النفوس . دين ارتقاء نوع

لو نادى الإنسان . دين بقى كنزاً مخفياً لم يكتشفه علماء العصر المفكرون
ضناً . دين خيم عليه عناكب النسيان وأحاط به - وراهجران واضحى
فليات - فى خبر كان اللهم الا جزءاً قليلاً من عباداته ومعاملاته التى
وع - تكفى لحياة الضرورة وانى لارجو أن يكون كتابنا هذا كاشفاً
ذ ك - عن محيا جلاله . مظهراً جمال بهائه . مسفراً عن كنهه . معانيه . باسطاً
جهلت - شارحاً مبيناً . وانى أستمع بمسبب الاسباب مدبر الخلائق
ضرت - القادر الحكيم أن يلمنى الصواب ويوفقنى كما أطمنى انه سيجيبني
هذه - انه لطيف بعباده رؤوف رحيم

﴿ الكلام على معارف الدين الاسلامي ﴾

نذكر هاهنا بعد ما ذكرناه سابقاً لفوائد

إعلم ان معارفه تنقسم كما قدمنا الى ستة أقسام (١)
العلوم الكونية وهي أهمها ويدخلها توحيد الله تعالى (٢) نبذ
الخرافات كعبادة الاصنام والشرك بالله (٣) الاخلاق
كالصدق والأمانة وحب المؤمن للمؤمن (٤) العمران
والنظر في أحوال الامم (٥) العبادات وهي تتم الاجزاء
السابقة فى الدنيا وتخرج بالعبد الى ربه فى الآخرة (٦)

الأحكام والحدود والمقوبات وهذه ترجع الى أحوال الدنيا في
ونظامها بالذات والى الآخرة بالتبع ولذا ذكر هذه الأقسام النار
اجمالاً من كتاب الله تعالى حتى يتخيل القارىء هذا الدين من جوانبه
نفس الكتاب الاصلى المقدس ويقف عليه اجمالاً ثم يرجع بوجه
فنفصله بقدر الاستطاعة مع الاختصار ومع النبيات اللاتمة هو ال
بها تذكرة للقارىء ولعلنا نفسرها تفسيراً وافياً ان شاء الله تعالى

﴿ الجوهرة الرابعة والعشرون ﴾

(الباب الاول اجمال معارف القران)

(١) العلوم الكونية أوجب الله على الناس تلك المعرفة
في الكتاب المقدس فقال (قل انظروا ماذا فى السموات
والارض) فأمرهم بالنظر ولم يكن النظر مجرد التحديق الى
السماء بالحدقة فأدنى رجل ينظر ببصره وإنما ذلك الاعتبار
بالبصيرة والفكر بالقلب ولما أعرض قوم عن ذلك وبخبرهم
وأنذرهم (فقال أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض
وما خلق الله من شئ وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم
فبأى حديث بعده يؤمنون) وأنذر الأمم أنها ان لم تنظر فى

في هذه الدنيا وعوالمها فسوف تفنى أجمعها بالجهل وتذهب إلى
 النار (وقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
 والنهار آيات لاولي الاالباب) الذين يذكرون الله قياماً
 وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات
 والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار
 الي (وقال) ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
 والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل
 الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها
 من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء
 والارض آيات لقوم يعقلون (وقال) ان في السموات
 والارض آيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات
 لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء
 من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات
 لقوم يعقلون (فهذه خمس آيات تشتمل النظر في العلوم جميعها
 من الفلك والسحاب والماء والهواء والحيوان وتشريحه والسفن
 ونظامها وان شئت أن تسمع آية تشمل العالم كلها فاقراً قوله

تعالى في سورة النحل (خاق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم
 مبين الخ قوله تعالى وان تمدوا ذمة الله لا تحسوها ان الله
 لغفور رحيم) ولأكتف الان في القسم الأول وهو قسم
 العلوم بهذه الايات ونكل الأطناب الى التفصيل الاتي في
 الجزء الثالث

ألا تنظر أيها القارئ كيف كنت الى الآن لم أذكر
 التفصيل وتعجب كيف ورد على سمعك مادعاك الى التصديق
 والاذعان ألم تسمع ما أقسم به من أجرام العالم العلوية والسفلية
 مما يهيج النفوس العاقلة والقلوب المفكرة والنفوس الزكية
 الى البحث والنظر وها أنت سمعت بعض الايات وهي ست
 من سبعمائة ونصف مائة وكلها في الحث على العلوم كلها ما بين
 روحانية وجثمانية علوية وسفلية فكيف بك اذا سمعت ما سنتلوه
 عليك مما ستستغرب منه تأخر المسلمين الحاضرين ورجوعهم
 الى مصاف الضعفاء ذلك أنهم نبذوا أعظم الاشياء ورؤسها
 واتبعوا ما سهل مأخذه من الحركات الجثمانية وفروا من العقلية
 والادوية

﴿ الجوهرة الخامسة والعشرون ﴾

(القسم الثاني نبذ ما يضر العقل ويخالف العقيدة)

يقول توبخا للجهال على عبادة الاصنام (١) أفرأيت
 اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى اللات والعزى ومنات
 هي ثلاثة أصنام يعبدونها يقول لهم مارأيتم الا هذه الاصنام المحقرة
 التي لا تنفع (٢) قال (أتعبدون ما ننحتون والله خلقكم وما تعملون)
 فيقول لهم كيف تعبدون ما صنعتموه بنفوسكم والله خلقكم
 وهذه الاصنام المنحوتة (٣) وقال أف لكم وما تعبدون من
 دون الله أفلا تعقلون) يقول لهم موبخا بعدا لكم وسحقا أنتم
 وكل ما تعبدون غير الله فان المعبود لا بد أن يكون واحدا
 ويقول الله (٤) (وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى
 المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهون قول كفروا من
 قبل قاتلهم الله أني يؤفكون) يذم قوما جعلوا الله ولدا كالنصارى
 وبعض اليهود وقال أنهم يشابهون من قبلهم من الأمم
 يعظمون بعض العظماء حتى يتخذونهم أبناء الله ثم دعا عليهم
 فقال قاتلهم الله وهذه اشارة الى لعنتهم وخزيهم وقالوا أني

يؤفكون أى كيف يصرفون عن العذاب وقال حكاية عن موسى
ابراهيم الخليل ولقد أتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به سحرة
عالمين اذ قال لآبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ان
قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وأباؤكم فى ضلال عظيم
مبين قالوا اجثثنا بالحق أم أنت من اللاعين الخ) وهكذا توقع
حكاية موسى فيها (قال بل ربكم ورب آبائكم الاولين قال لهم
أن رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون قال رب المشرق والمغرب
وما بينهما ان كنتم تعقلون) هذه صورة محاوراة بين ابراهيم
وقومه وموسى وفرعون ذكرت فى القرآن لترشد الامم خاصة
الى ترك الاضاليل وانتهاج الحكمة والعلم وتوحيد الله . هذا البصير
الدين لا يأخذ الا بما هو معقول ولا يرضى بالتقليد فى جميع
الامور قال تعالى (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب) فأمر
الانسان بالاحسن الا وهو المعقول النافع وأن ينبذ الناس ما ليس
باحسن وبشرهم وجعلهم خواص عباده وأثنى عليهم بأنهم
مهيئون وأنهم أولو الالباب وانظر المحاوراة التى جرت بين
قص

عن موسى والسحرة وبنى اسرائيل فيما ذكر الله في القرآن ترأى
 به سحرة فرعون لما أنهم علموا مقدار علم السحر وأيقنوا أن العصا
 من أن تبطل الحبال بنواميس السحر الذي يشار بهم فيه موسى
 لعلهم يبقوا الآن هذا أمر سماوي فامنوا بالبرهان المناسب بازوافهم
 ذلك وعقولهم ثبتت الايمان عندهم وأصبحوا موقنين مع أنهم أعداؤه
 بالبرهان وهم عبدة فرعون وجنوده واعوانه وسحرته وعليهم كان اعتماد
 أمة المصريين في نشر دينهم القديم ونبت هذا الدين الحديث
 ما بنوا اسرائيل فلما لم يكونوا من الحكماء ولا هم من جلة العلماء
 خاطبهم بما يليق بمقولاتهم وما يناسب علومهم مما يحسن بحاسة
 البصر فأرأوا العصا تتلف السحر العظيم ويد موسى بيضاء بعد
 ان كانت سمراء فامنوا ايمانا ظاهريا حتى اذامضت الايام وخرجوا
 من البحر الى حدود اسيا (قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم
 آلهة قال انكم قوم تجهلون أن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل
 ما كانوا يعملون) أى أن عمل هؤلاء هالك وباطل (قال أغير
 الله أبغىكم اله وهو فضلكم على العالمين) هذه المحاوره كجميع
 قصص القرآن جعلت عظة للناس وتفقهها وحكما بالغة يراد

منها تلك المغازي والحكم والاسرار والسر هنا أن الجاهل
 الذي يؤمن بالظواهر لا نبات لأيمانه إلا بما يقومه أنا فانا. الا
 ترى أن موسى عليه السلام اذ غاب عن بني اسرائيل أربعين
 يوماً أشر كوا بالله وعبدوا العجل لان من آمن به لا جل العصا
 وهي من عالم الشهادة وقد تلققت السحر لا محالة يؤمن بعجل
 من ذهب له خوار لا لباس المحسوسات بخلاف المعتقدات
 إذ هي متميزة صادقة لا ليس فيها فسحة فرعون خاطبهم
 فرعونهم بقوله لا صابنكم في جذوع النخل فقالوا انا امنا
 بربنا ليغفر لنا خطايانا وصبروا على القتل والموت بثبات اعتقادهم
 بدينهم أما بنو اسرائيل فنزل أيمانهم لشيء صغير وهو رؤية
 عجل مصنوع بهرهم صنعه ولما رأوا أقواما يعبدون صنما
 تقهقروا الى عقابهم المعبود وفكرهم المحدود وسألوا الاصنام
 أن يعبدوها. هذه المحاورات وأمثالها كثيرة في القرآن حتمت
 على الناس ان يكونوا في أمورهم الدينية والعقلية والمعاشية
 متبعين العقل. ذم من أعرض عن التعقل في آيات كثيرة فقال
 (ام تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون انهم الا كالانعام

بل هم أضل) والآيات في هذا ربما تبلغ نحو الالف في القرآن
وكم ندد على من ترك التذكر والتعقل وكم مرة يقول أفلا
تعتقلون أفلا تبصرون أفلا تذكرون وبالجمله فهذا الكتاب كله
يبحث عن العقل والفكر والنظر والتأمل حتى لا يعمل الانسان
عملا الا عن صدق وسيأتي تفصيل هذا في الباب المفصل فيه
(القسم الثالث) الآداب في الكتاب الكريم نحو ثمانمائة
آية في الآداب ومحاسن الأخلاق والمعاملات فتراه تعالى
يأمر بالصدق وبر الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن
السبيل ومواساة الفقراء والجهاد في سبيل الله علما وعملا وحكمة
ولا ذكر لك الآن آيات في هذا الفصل تناسب الاجمال
كسابقه فنقول قال الله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم
في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم
للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم
أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك
فأولئك هم المادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم
على صلاتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون

الفردوس هم فيها خالدون) في هذه الآية أمر بالخشوع في
 الصلاة لترجع النفس فيها الى عالمها المقدس . وأمر بترك اللغو وال
 من الاقوال والأفعال فيزن الانسان جميع حركاته وسكناته
 وأمر بالزكاة وهي اخراج جزء من المال للفقراء والمساكين
 معلوم في باب . وأمر بترك الزنا . وقربان النساء الا ما أحل ومدح
 الذين يراعون الأمانة والأموال والعلوم والاسرار والعهود
 والتي أخذها الله أو الناس . ومدح الذين يحافظون على صلواتهم
 ثم ذكر أنهم هم الوارثون وهذه الآية فيها ثمان وصايا . وهما
 آية فيها عشر وصايا فمدح الذين يدينون بهذا الدين . ويصدقون
 ويطيعون الله . ويصدقون في الاقوال والافعال . ويصبرون على
 ما ألم بهم وعلى الاعمال الواجبة . ويتواسون ويتصدقون بما
 قدروا . ويصومون أياماً في السنة لتنجلي لهم روح عالية في
 نفوس صافية . ويحفظون فروجهم . ويذكرون الله كثيراً فهذه
 عشر صفات للمؤمنين والمؤمنات جمعت في آية وهي بترتيب
 ما ذكرناه كالشرح لها مقدماً (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين
 والمؤمنات والقانتين والصادقين والصادقات)

في الصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين
 المغفور والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم
 ناته الحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم
 كين مغفرة وأجرًا عظيمًا) وهما آية جمعت اثني عشرة وصية وهي
 دح) وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا) بالوقار
 بود الكمال (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) العفو عن
 اتهم) راذل الناس والمسامحة في صغار الأمور (والذين يبيتون لربهم
 ماك سجداً وقياماً) التهجد . ويلحق به كل عمل من العبادات
 ون) والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان
 على غراما) لازماً . يريدون أن تخلص نفوسهم من ذنوبها ويعرفون
 بما أن بين ذنوبهم وعذاب نفوسهم ملازمة فإذا لازمهم الذنوب
 في الغرام بها لازمهم العذاب في نفوسهم . ولحقهم الأذى العظيم
 هذه بعد موتهم في جهنم (أنها ساءت مستقراً ومقاماً والذين إذا
 بب) أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) وسطاً . حث
 ين على التوسط في النفقات وترك التبذير والبخل (والذين
 ت) لا يدعون مع الله إلهاً آخر) لا يشركون بالله شيئاً وذلك بأن

العالم الذي نحن فيه واحد وكل كوكب أو مجموعة شمسية
 كمضو من أعضائه فكأن العالم كله انسان واحد له أعضاء
 فالمدبر له واحد كما أن الانسان الواحد تدبره نفس واحدة
 (ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن
 يفعل ذلك يلق أناما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه
 مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله
 سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا
 فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور) كل شهد
 محرم أو لغو لا منفعة فيه أو لا يحضرونه (واذا مروا باللغو
 مروا كراما) هم لا يحضرون وإذا مروا به بلا قصد مروا
 سراعا سكوتا (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها
 صما وعميانا) انهم في مجالس اللغو كارهون وإذا سمعوا
 الحكم والعلوم ومعرفة الله تعالى أذنوا لها واستمعوا لها (والذين
 يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) يجهدون
 أنفسهم بالدعاء والعمل أن يتبعهم أزواجهم وأبنائهم (وجعلنا
 للمتقين اماما) يداومون على دعوة الأمة لما يعلمون

فيهذبون أنفسهم وأهليهم وأمتهم (أولئك يجزون الغرفة بما
 صبروا ويقون فيها تحية وسلاماً) وعدم بالجنة وبالبشر لهم
 عند اللقاء (خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً) وفي سورة
 الاسراء أربعة وعشرون وصية متتابعة (١) عبادة الله (٢) ونبد
 الشرك (٣) والوصية بالوالدين احساناً (٤) ولا يقال لهما
 أف أي بترك أقل هفوة من قول أو عمل معهما (٥) ولا
 ينهرهما أي لا يفعل معهما فعل ولا قول يقال لهما في غظة
 (٦، ٧) التواضع لهما والدعاء لهما بالرحمة بما ربوه من قبل
 (٨) الاحسان لذوي القربى والمساكين وابن السبيل (المسافر)
 (٩) ترك التبذير في الاحسان والانفاق (١٠) الاعتذار
 بجميل القول اذا قل ماله (١١) ترك البخل (١٢) التوسط
 في الانفاق فيكون قواماً (وسطاً) (١٣) لا تقتل النفس الابحى
 (١٤) ترك الزنا (١٥) النهي عن قتل الابناء (١٦) ترك
 الاسراف في القصاص عند القتل (١٧) عدم الظلم في مال اليتيم
 (١٨) الوفاء بالعهد لله وللناس وللرسول وللكتاب وللذمة
 وللعلم (١٩) وفاء الكيل (٢٠) وفاء الوزن ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣

ترك الفضول من القول والعمل لان السمع والبصر والقلب
يسأل عنها المرء يوم القيامة (٢٤) ترك الخيلاء والكبر هذه
(٢٤) نصيحة وضحت في الآيات المتتابعات بالترتيب الذي
ذكرناه والنسق الذي انتهجناه وهي (وقضى ربك أن لا تعبدوا
إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما
فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما
جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ربكم
أعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا
وأت ذا القربى حقّه والمسكين وابن السبيل ولا تبذروا ثرواكن
المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً
وأما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا
ميسوراً ولا تجعل يديك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
فتقدم ملوماً محسوراً ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ولا تقتلوا أولادكم خشية أملاق
نحن نرزقهم وإياكم ان قتلهم كان خطأً كبيراً ولا تقرّبوا الزنا انه
كان فاحشة وساء سبيلاً ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق

ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل
انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن
حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا وأوفوا الكيل
إذا كنتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا
ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل
أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش في الارض مرحا انك لن
تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه
عند ربك مكروها ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة
ولا تجمل مع الله الهاء آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا وهذا
آخر (٢٤) نصيحة ولأقص عليك في هذا الاجمال آية فيها
اثناعشرة وصية وهي (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين
احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والجار
ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل
وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا)
أوصى بعبادة الله وتوحيده والاحسان الى الوالدين والاقارب
واليتامى والمساكين والجار القريب الملاصق والجار البعيد

غير الملاصق والصاحب الملازم لك في مدرسة أو منزل كالزوجة
ونحوهم والمسافر في الطريق وأعلن عدم حبه للمتكبرين المفتخرين
البخلاء بالمال والعلم الأمرين به لسواهم فهذه ١٢ وصية. وهالك
عشر نصائح في آية وهي التوبة والعبادة والحمد لله والسياسة
في الأرض والركوع والسجود والأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر وترك المحرمات والتصديق بالبراهين وهذه هي الآية
(العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون
بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر
المؤمنين) فهذه ٧٦ وصية بعضها في آيات ذكرناها لك الآن
في هذا الأجمال تعجيلاً للفائدة وقبل فتح باب التفصيل لترى
أمرًا غريبًا عجيبًا في هذا الكتاب ولا مسك بعنان القلم عند
هذا الحد في الآداب وأكل الأسهاب فيه إلى وقت التفصيل
فيما سيأتي إن شاء الله تعالى قريباً



❦ الباب الرابع ❦

❦ الجوهرة السادسة والعشرون ❦

(العمران والسياسة في القرآن)

سترى في كتابنا هذا أن أكبر اهتمام القرآن بالعمران
وأحوال الدول والممالك وكم أمر بالنظر في أحوالها والتأمل
في دمار قوم وحياة آخرين . ولندكر لك في هذا الاجمال
آيات تتضمن جملا من علوم العمران . وتنبها ببضعة أحاديث
إجمالا على شريطينا التي اشتراطنا وخطتنا التي ألزمتنا . ترى
القرآن يأمر الناس في سورة بل في كل بضع آيات بالتوحيد
وترك الاشرار بالله وقد بالغ في ذلك وكرره وأكده وأوعده
بالعذاب حتى قال ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء فاعلم أن ذلك لحكمة عظيمة وهما أمران عظيمان
وركنان قويان وأصلان مهمان

ألا وهما تحقيق العلم ودوام العمران أما الاول فاذا علم المرء
أن الخالق القاهر المسيطر العالم بالغيوب الحكيم واحد لا غيره

عرف أن العالم كله لم يصل أحد فيه إلا شيء محدود من علمه
فيجد في المعارف بالبرهان لا بالتقليد. ويتحقق منها أن لا وحى
بعد من أنزل عليه هذا الكتاب واتخاذ الأبناء لله قد بطل
حكمه وظهر كذبه فلم يبق إلا التشمير عن ساعد الجد في فهم
العلوم بالعقل انتهجا لحظتها هذا الدين. واما كانت الأمم البائدة
تتخذ الاحبار والرهبان أربابا فيعتقدون كلما أوحوا اليهم من
الخرافات وظلمات سحب الجهل فيغشون أعينهم بمفترياتهم
وأباطيلهم. ولعلك تقول فلناخذ عن نبينا. وها هو كتاب الله
وها هو الحديث. قلنا نعم ولكن تري هذا الكتاب والحديث
يرشدانا الى النظر في كل شيء. والتحقق من كل شيء في
آلاف من المواضع فالبحث في العالم من مقتضيات هذا الدين
والتاركون أثمون. أما قرأت (وكم من آية في السموات والارض
يعرون عليها وهم عنها معرضون) «وأما الثاني» فان الامة اذا شعرت
بمساواة النوع البشري في الحقيقة. وأن الاله مترفع عن المادة
وما تراه في الارض متساو في الوجود والعدم مربوب مخلوق
مقهور سار على قوانين اخترعها مبدعها فلا شك أن الامة

تشترك في كل شيء ويقتسمون الحياة كل بقسطة عدلا وصدقا
 ويتشاورون . فيكونون خلفاء الارض جميعا ولهم الشورى وسن
 القوانين وغير ذلك على ما عليه الأمم المتقدمة . على هذا نرى
 التوحيد يقصد به الصدق في العلم تحقيقا وفي العمران صدقا
 ولعلك تستبعد ما ذكرناه وتعدده من المغالاة في التفاسير
 والاحتيال فتذكر ما قلناه آنفا في قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم
 ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم) الخ « وفسره
 النبي صلى الله عليه وسلم » اذ سئل عن ذلك فقال يسنون لهم
 السنن ويشرعون لهم الشرائع فسمى تسنين القوانين الوهية
 والشارع واللسان وبهذا اتضح ما ذكرناه . ولو تذكرت
 كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ملوك العرب والعجم
 والروم وقوله (يا أهل الكتاب تهالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
 ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا
 أربابا من دون الله)

فتأمل كيف جعل صلى الله عليه وسلم ترك ربوبية
 المخلوق من لوازم الدعوة الا وهى التساوي في الحقوق وأن

لا يسن قانون الا بعرضه على الأمة حتى يكون اجماعا برضاها
 وهالك آيات تحت الناس على النظر في أحوال الامم والاعتبار
 بها . وبنح الله قوما وندد عليهم فقال (١) (أفلم يسيرا في
 الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها)
 ورب قائل يقول هاهم أعمى الشرق لهم أعين ولهم قلوب ولهم
 آذان ومع ذلك فما عرفوا شيئا عن أحوال بلادهم فضلا عن
 غيرها فقال عقب الآية السابقة (فانها لا تعمي الابصار ولكن
 تعمي القلوب التي في الصدور) وقال في هلاك الامم بظلمها (٢)
 (وكم أهلكنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين)
 فالأمة الظالمة مستعدة للهلاك وحلول غيرها محلها وقد جرت
 عادتهم أن يحسوا بمستقبل أمرهم فيريدون التخلص من الدمار
 والافلات من العذاب فلا يقدررون (فلما أحسوا بأسنا اذا هم
 منها يرجعون لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم
 لعلكم تستلون قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم
 حتى جعلناهم حصيدا خامدين) فلا يزالون يعترفون بالظلم
 والكذب والجهل ويوددون المهاجرة من البلاد والعدول عن

الظلم والاخلال الفاسدة فترهقهم أخلاقهم ويفشيهم ظلمهم وهم
 في أما كنهم (٣) (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي
 الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا عليهم يرجعون) وذلك
 بقطع المواصلات البرية والبحرية وتخريب البلاد وقطع
 الاسلاك البرقية براً وبحراً أو عدمها . ينشأ ذلك إما من الظلم
 أو الجهل بصنعها فتتخرب ويفنى صانعوها ويبقى الناس منفردين
 متقاطعين كما كانت الأمم في زمن الجاهلية من العرب . الشرك
 في العبادة داع حثيث الى ظلم المستبدين من حملة الدين أو من
 أقامهم أولئك الحاملون . وعاليه حرمت عبادة أي مخلوق من
 إنسان وحيوان وحجر ومصنوع ونبات وشجر وجبل وطير
 وحشرات فالاعتقاد بذلك يجر الى الاعتقاد بتزيه الانسان ولو
 بطريق المشاكلة فيستبد بالناس ويهلكهم (٤) (قل سيروا في
 الارض فانظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبل كان
 أكثرهم مشركين) تخربت بلادهم لشركهم بالله الداعي للشرك
 في السياسة (٥) (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله
 الآية) وقد تقدمت فلا نطيل بشرحها (٦) (هو الذي جعلكم

خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم فيما
 أناكم (خاطب الناس جميعاً بالخلافة فكل مسئول عن أمته لا فرق
 بين رفيع ووضيع فتراه رفع الدرجات وقسم العقول وسأل كلا
 بمقدار ما أوتي من العقل والصناعة والعمل فذلك قوله (ورفع
 بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم فيما أناكم) (٧) (واذيتحاجون
 في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا أنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم
 مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا أنا كل فيها ان
 الله قد حكم بين العباد وقال الذين في النار خزنة جهنم ادعوا
 ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب قالوا أو لم تك تأتيكم رسالكم
 بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا ومادعاء الكافرين إلا في ضلال)
 فترى هذه الحاجة هي الحاصلة الآن في الدنيا مشاكلة لما
 يحصل بعد مفارقة الارواح أبدانها. يقول الضعفاء لرؤسائهم
 أنتم المسئولون ونحن الاتباع فهل لكم أن تدفعوا عنا الدمار
 والخراب فيقول العظماء عظم الكرب وحكم الرب وجاء الويل
 وطم وعم فيسأل الناس جميعاً بقلوبهم وألسنتهم . كما تشهد في
 الامم المظلومة ويقولون من لنا بالخلاص فلا يجاب لهم . كما قال

هلاكو اذ دم بغداد . وقال للمعتصم وهو على شفا الموت
ها هو اهلك في أمور رعيتك أوقعك في العذاب وانظر هذا
الجوهر والزمرذ والياقوت والمرجان الذي تراه أمامك نهبتة
من خزانك وأنت بين يدي وإذا كان هذا فعل الله في الدنيا
فسيكون الحكم هكذا في الآخرة (ما ترى في خلق الرحمن
من تفاوت) (ولن تجد لسنة الله تبديلاً) (ولن تجد لسنة الله
تحويلاً) فمن هذا ترى أن الرؤساء والمرؤسين مسئولون عن
أمتهم وهذا معني مسألة الانتخاب والشوري ومجلس النواب
وهكذا وفي آية أخرى (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند
ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا
للذين استكبروا لولا أنتم لكننا مؤمنين) الايمان هو المعرفة
والعلم بالله وبغيره من المخلوقات ديني أو دنيوي فان هذا معناه
في اللغة (قال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل
والنهار اذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا
الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين
كفروا هل يحزون الا ما كانوا يعملون) فكانه يقول ما جعلت

(١) الاغلال في أعناقهم في الآخرة الا وقد وضعها في أعناقهم
 في الدنيا فقلت أيديهم وعقولهم بالجهل وذلوا لاستبداد الرؤساء
 وقلدوهم واتكوا على مآلديهم من السطوة وظنوها مناط العلم
 فجازاهم الله في الآخرة وجعلهم جهلاء معذبين محقرين لجهلهم
 في الدنيا وتبرأ الرؤساء من المرءوسين كما يحصل في الدنيا عند
 استبداد الحاكمين على المحكومين ووقوع العذاب عليهم فترام
 يتبرءون ويقول الضعفاء جهلنا بمكركم علينا وتديروكم الحيل
 في الليل والنهار لتبقى لكم الرئاسة وخدمكم وتدعوننا في جهلنا
 نرسف في قيود الذل والجهل وترسلوا علينا غاشية من سحب
 الجهل المزجاة بعواصف المكر المدبرة بأيدي استبدادكم
 وظلمكم (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)
 أفلم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم
 ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون (أمرنا أن ننظر آثار الامم
 ونحفر الآثار ونقرأ الاحجار ولم يكفه ذلك حتى قال أن
 في ذلك آيات أي علوماً وآداباً وأخلاقاً ثم قال أفلا يسمعون
 ما خطه الأولون وزبره الا قدمون في مطمورات الأرض

(١١) (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها
عبادى الصالحون) وعد ببقاء الامم النافعة الصالحة فى الارض كما
وعدا باملاك الامم التى لا تنفع لعمارتها (١٢) (قل يا أهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك
به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) ولقد قدمنا
فى هذه الآية أنه صلى الله عليه وسلم أرسل كتابه الى الملوك
بهذا الوضع كما فى البخارى وفسر الربوبية بسن السنن وتشريع
الشرائع . فخطب النبي صلى الله عليه وسلم الملوك بالصيغة النبائية
ونبذ الاستبدادية . ولذلك نرى العلماء يعتبرون عندنا الاجماع
من الادلة الشرعية فكان القرآن إذ ظهر فى الشرق ظهرت
ثمرته فى الغرب . فكان الشرق الى الآن لم يستيقظ من غفلته
فسبحان مقسم العقول والحفظ . أكثر قصص القرآن
وردت للعمران . وسيرد عليك عند التفصيل قصة فرعون
وموسى وما كان من اذلال بني اسرائيل واستكبار فرعون
وقومه وتكوين دولة جديدة من الأمة الصغيرة فى الشرق من
سوريا وهم بنو اسرائيل (١٣) (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا

في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض
 ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون
 يشير الى أن الضعيف متى صبر أضحى ذا شوكة الخ وتري
 يوسف وقصة عاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وقوم نوح
 وقصة آدم وخلافته في الأرض . وكل منها له قسط من
 العمران فعاد اهلكوا بطغيانهم . وثمود بافترائهم . وقوم
 شعيب بتطفيف الكيل وقوم لوط باللواط فقل النسل وقوم
 نوح هلكوا لانهم لا يصلحون لعمارة الأرض . وقصة آدم
 تشير إلى أنه وبنيه خلفاء الله في أرضه متساوون في الحقوق
 ولنقتصر على هذا القدر من الكتاب وهاك ماورد في الستة
 من جمل تريك علامات دنو أجل الأمة وسقوط الدولة
 فأخبر صلى الله عليه وسلم أن أسافل الناس اذا علوا على
 الحكومة سقطت الأمة وتقلص ظلها وعبر عنه بتناول رعاة
 الابل في البنيان وقال أيضاً ان الرجال اذا كثروا من الاسراف
 واقتناء الجواني كان علامة على دنو زوال الامة من الوجود
 وعرفه بأن تلد الامة ربها أي سيدها وفي هذا القول معنيان

ضرب طحبان كثرة النساء والاسراف بينهن واختلاط الاجناس
 ان اتخذ الرجال الاماء وهن من أمة أخرى جرى الدميان
 برعى لاط الجنسان وضاع كيان الأمة وسقطت من شامخ
 روحها ورفيع قدرها وزالت وحدتها كما ذكره اسبنسر
 منسوف الانجليزي للفيلسوف للياباني اذ سأله عن اليابانيين
 قوام وجون من الاوربيين قال كلا لثلا يختلط الجنسان
 قوام يحفظ الكيان ولا يلتئم الزوجان وعلمه بعلة صحيحة ونحن
 آدم بالصحة والاجتماع معاً . والحديث في البخاري كان
 وقول الله صلى الله عليه وسلم بارزاً للناس فأتاه رجل فقال
 ستاً لايمان . فقال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
 من بالبعث . قال ما الاسلام . قال الاسلام أن تعبد الله
 على تشرك به وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان
 عاقب ما الاحسان . قال الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان
 فممكن تراه فانه يراك . قال ما الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم
 واد السائل . وسأخبرك عن اشراطها اذا ولدت الامة ربها واذا
 بان رسول رعاة الابل البهم في البنيان في خمس لا يعلمها الا الله

ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة و
الغيث ويعلم ما في الارحام الآية ثم أدبر فقال ردوه فلم
شيئاً . فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم وعبر عن
السابق بما هو أوضح في حديث آخر قال اذا أضيئت الام
فانتظر الساعة . وفي حديث ان من إشرائط الساعة أن
العلم ويكثر الجهل ويظهر الزنا وتكثر النساء ويقل الرجال
يكون للخمسين امرأة القيم الواحد وفي حديث ان الله إذا
يقبض العلم انزعاً ينزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض
العلماء حتى اذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهلاء فليس
فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا اه وإشرائط الساعة هنا الامامة
بها الصغرى وهي الدلالة على خراب أمة من الامم أو قبيل
قرية . ولا ريب ان الزنا يقل النسل . وظهور الجهل من أرب
العوامل في التخريب وارتفاع الاسافل بارتقاء المناصب
استحقاق بورث ضياع الامة . وقلة الرجال بالحروب وكثرة
النساء داعيان لتغير الامة وزوالها كما حصل في زماننا فقد
التعاشى الرجال حتى لم يبق الا العجائز والنساء في كثير من

ولم تكن تجد لنحو خمسين امرأة الا شيخاً أو صبياً
 وهكذا اختلاط العشائر فهذا كله من امارات زوال
 من الوجود كما عليه علماء العمران في زماننا
 ﴿ الجوهرة السابعة والعشرون ﴾

(فصل)

وهناك عشرة خصال عمرانية تهذيبية تشترك فيها
 اذ والامم وهاكها

« الاول » بعث الشمور في النفوس واعدادها للمعالي
 ببناء يخالط الوجدان من السماء يقول الله تعالى (كنتم
 امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن
 قبيح وتؤمنون بالله) الثاني الاحساس بدوام الامة (هو
 من ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
 بشعور المرء بعلم مكانته اذ هو من امة هي خير الامم
 وكساسة بالامة من الدوام على مدى الازمان داعيان حثيثان
 لا مل بالعمل وسمو النفس وشرفها والمسارة الى اعدادها
 بسم قدره وعلا « الثالث » الثبات (وإن تصبروا وتتقوا

فان ذلك من عزم الامور (أى من الامور التى يعزم عليها)
وكيفاك قصة نوح ونباهه وتاريخ ذى النون وعجلته وما كان من سير
مدح الاول الخ فهى جديرة بالاهتمام وكم فى الكتاب من بين
تمدح الصبر حتى قال (ان الله مع الصابرين) ولا ريب ان
الثبات على المبدأ « الرابع » التوكل وهو اشعار النفس بالاعتماد
تخالط الوجدات وتشارك الروح وتمتد العقل مع اندماج
الاعضاء فى تيار العمل واشغالها فى اعمالها التى غلبت فيها
كالزراعة والتجارة والصناعة والامارة ونحو ما قلناه من قول
ولم يعهد سبيلا للكسب والصحة كالولئك الذين يرقون الى الله
بالرقي للتطيب او يكوونهم او يتفائلون تطيرا او يزعمون
او هامافا وللك يحاسبون يوم القيامة كما ورد سبعون الفا
امتى يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يكتوون ولا
يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون (ولقد
فى خبر انه اعطى مع كل واحد من السبعين الفا سبعين الف
ومع كل واحد من كل هؤلاء سبعين الفا فانظر كيف خسر
الحساب بأولئك الاقوام الذين وقفوا انفسهم فى سبيل الله

لم يعمل عمل الذي لم يغلب نفعها ورفع الحساب عمن حاسبوا أنفسهم
 كاز يسير على النواميس التي وضعها والقوانين التي سنها «الخامس»
 من بين والشدة هذا الخلق ظاهر من أخلاق النبوة ومن
 ريب كتاب إذ مدح النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله فيه هو
 أصحابه (أشداء على الكفار رحماء بينهم) فإذا الشجاعة ركن
 من أركان هذا الدين وناهيك السباق والرمي وانها سنن
 بسلامية بل انها فروض واجبة كفاية باجماع علماء الاسلام
 نذيقوله تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) مع مزج هذا
 باللين في محله وفي التنزيل (ان ربك أشديد العقاب) وأنه لغفور
 رزقهم (وما من آية فيها شدة الا ومزجت باللين ولا ذكر
 العقاب الا مقرونا بالثواب مشاكلة لفطرة العالم ونواميس
 الكون وقانون الحياة كما جاء (وانك لعلى خلق عظيم)
 السادس مراعاة الزمن في الأحوال الدنيوية مع الاعداء
 ينقل النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أطوار طور ابتداء الدعوة
 فيها كان ليظهر أمره . وإنما هي الحكمة في الدعوة والتبليغ
 المسترسل حتى ان أصحابه هاجروا الى الحبشة وغيرها . ثم

هاجر هو وأصحابه إلى المدينة . ولما كان أمر الحديبية كان أمر
 الصلح بينه وبين أهل مكة عن رضا أن يرد كل من جاء إليه
 مسلماً منهم لهم . وإن يردوا من ارتد عن الإسلام إن آووه
 فرضى بذلك امتثالاً للقضاء ومجاراة للوقت حتى إذا أمكنه
 الله بعد سنتين اثنتين ظهر عليهم وانتشر الدين انتشاراً باهراً
 «السابع» السلم في العقائد لم يذم القرآن نبياً بل ورد في الدين من
 كذب نبياً كفر فأصبح لدينا موسى وعيسى وإبراهيم وأدريس
 وغيرهم مصداقاً بنبوتهم ومتى سمعنا بنبوة أنبياء لم نعرفهم
 جوزنا نبوتهم يقول تعالى (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم
 من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) فذلك جمع
 للكلمة باعظام أكابر الأئمة الذين أشربت العامة والخاصة
 حبهم فما كان للإسلام أن يكذب (برهمة) أو (بوذا) بل
 يجوز نبوتهم ولا ريب أن ذلك أدعى لأتلاف الأئمة وجمع
 كلمتهم ولا أدري ديناً في الأرض يحترم عظماء الأئمة كهذا
 الدين . يؤمن المسلم بعلماء العالم ولا يؤمن من قبله بدينه فهم
 مشاكسون وهو مسلم محب ويعرض علوم الأوائل على

العقل فما وافق اتخذه وما خالف نبذه (فبشر عبادي الذين
 يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله
 وأولئك هم أولوا الالباب) وتراه عمداً الى النظر فيها فأزال
 ما يضر بالعقائد وسمعة الأنبياء فنفي الصاب ونزه ذلك المقدس
 عن الإهانة وأمه من الخنا ونبيه من الألوهية بل جملة عبداً
 صالحاً نبيا كسائر الانبياء وعمداً الى ما في التوراة من أقاصيص
 مخرفة فصيغت صوغاً ينفي عنها وضر الشرك وذنس الضلال
 كوصف بعض الانبياء بالمحرمات . ووسم الرب في تاريخ
 آدم بسيمة ملك متجسس على قومه يحسد من يعلم علماً كعلمه
 بل بهاب من يخلد مثله مما يوصف به الملوك الذين قصرت
 أنظارهم على الشهوات البهيمية وكم اتصف هذا الكتاب بأنه
 مصدق لما بين يديه وهدى وموعظة للمتقين « الثامن » مجارة
 الامم التي سيطراً عليها أهل هذا الدين في معاملاتهم واحترام
 شعائهم كمعابد النصارى واليهود واحترام أحبارهم ورهبانهم
 واقرار عقودهم في مناكنهم . وأحوالهم المعيشية واستأنس
 بما في قصة يوسف (قالوا) أي رجال فرعون لبني يعقوب

اذ كانوا بمصر (فما جزاؤه) أى السارق (ان كنتم كاذبين
 قالوا جزاؤه من وجده في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي
 الظالمين) فمقاب بني إسرائيل بقانونهم في بلادهم « التاسع »
 التدرج في معاملات الامم فلا يقهرون بالسطوة ولا يكلفون
 الطفرة . اعتبر ذلك في بيان ضرر الخمر أولا وما أيقظهم به من
 قوله (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إنم كبير ومنافع
 للناس وإئنها أكبر من نفعهما) اذ أبان الضرر والنفع وكشف
 وجه الحرمة باظهار وجهته اذ القضية التي جزمت بها العقول
 ان ما غلب ضرره حرم تعاطيه ثم كيف حرمها في الصلاة
 بقوله (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) ثم بت الحكم فيها وفي
 الميسر في قوله (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب
 والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفاجون)
 فهذا التدرج في الدين عند نزوله داع حثيث الى التلطف مع
 الرعايا . وأخذهم بسنة التدرج والنمو في المعتقدات شيئا فشيئا
 حتى يتم الامر ولا يهولنك ما ترى من دول سقطت برجالها
 فانما ذلك بما شغلوا به من أباطيل ولم يكونوا مسلمين الا

بالاسم أو الرسم أو بعض العبادات أو الأقوال . أما جوهر
 الدين فهو منبوذ نبذاً « العاشر » مراعاة الامم في جواهر
 الاحكام . وناهيك ما تري في دية القتل اذ جاء على عادة
 العرب أن يؤخذ من الابل مائة على العاقلة في قتل الخطأ
 وشبه العمد . وعلى القاتل في العمد عند العفو . هذه جاءت
 مطابقة لما عليه العرب في جاهليتها مع اعتدال في النهج وهذا
 باب واسع تدخل منه الأمة المتمدنة الى سن القوانين بما
 يستقر عليه العرف والعادة وما يسمح به الزمن وما تقتضيه
 الأيام والزمان والمكان وهذا هو القصد الاسمي من كون
 هذا الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل للناس كافة بشيراً
 ونذيراً . وجد الرجل يتزوج بلا حصر فارجمه الى أربع مالم
 يخف من الجور ومتى خيف جور منع التعدد . وللحكومات
 أن تأخذ على يد الافراد بحسب ما ترى من استعدادها (فان
 خفتم ألا تعدلوا فواحدة) الآية . كانت الرق سنة جاهلية
 خففه ثم أدخل العتق في احكام الدين وكم من أمر ديني كان
 العتق أعظم أبوابه (وما أدراك ما العقبة فك رقبة) فله ما

أرحم هذا النبي فهو رحمة للبشر فمن هذا المنهج الوسط يجد
رجال الأمم ميداناً واسعاً في معاملات الشعوب في الشؤون
المختلفة الدينية والدنيوية. وللعقول والعقلاء مجال. وهنا وقف
جواد القلم في ميدان البيان اذ المقام أجمل لا تفصيل وفي هذا
الاجمال مقنع في العمران

﴿ الركن الخامس العبادات ﴾

ذكرنا هذا الركن بعد سابقه لما بينهما من الاخوة
والرابطة والصلة والرحم والصدقة فالعبادات البدنية المسماة
أركان الاسلام خمس في حديث (بني الاسلام على خمس
شهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء
الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلاً)
فلهذه العبادات وجهان أولهما يعانق العمرانيات وثانيهما يتراعى
الى أطراف المادة ويطوح بالنفوس الى عالم القدس فأولهما
اجتماع ونظام وحياة ورقى ونظام في مادة . وثانيهما عروج
الروح وصفاء النفس وبهجة القلب وخلوص الى الرب ولقاء
الله وأنس بأوليائه وفرح بأحبابه . فالأول شجر والثاني ثمر

والاول جسم . والثاني روح . والاول لفظه . والثاني معناه
والأول صورة . والآخر حسنهما وجمالها وبهاؤها ولئن سألت
عنها نقول

الأول الكلام على شهادة أن لا إله إلا الله . أما توحيد
الله فيها فقد قدمنا ذكره وأوضحناه بأنه اخلاص القلب اليه
وتوجه النفوس نحوه . والوجه الثاني فيها تساوي الناس في
الحقوق ونبذ الاختصاص وإبعاد السدنة والكهنة وغيرهم
واذا أوضحنا هذا فلنمسك القلم عن الايغال فيه اكتفاء بما
حررناه سابقاً

﴿ إقامة الصلاة والحج ﴾

وجهه الاجتماعي ترى النبي صلى الله عليه وسلم يأمر
الناس بالصلاة خاصة وعامة في خمس أوقات من النهار بعد
طلوع الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء في أعمال
مخصوصة وأقوال معقولة ودعوات ترجع الى أشعار القلب
بمظمة الرب وتذكر الصالحين المصلحين والتسليم عليهم
استحضاراً لهم واقترباً بالقلب منهم . وليكونوا جماعات لهم إمام

يصلى بهم . هكذا كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بحيث
تكون الجماعات أمرها في كل وقت من الأوقات الخمس
شائعاً في البلد منتشراً وفضل في الحديث الجماعة على الفرد
بسبع وعشرين درجة . وفي معنى الحديث لقد هممت أن
أحرق بيوت قوم لتركهم الجماعة ولم يكادوا يتركون تلك
الجماعة أثناء الحرب . وورد في تفصيلها أثناء القتال في الميدان
نحو ستة عشر كيفية بحيث لا يتركون الصلاة ولا جماعتها في
وقت من الأوقات . ولا أهل الإسلام عیدان في كل سنة يجتمع
فيهما أهل البلدة ومن حولها يتعارفون ويتزاورون وليكن
المكان (مصلى العيد) خاصاً به يسع المدينة والقرى حولها
بالغين ما بلغوا ولهم اجتماع يوم الجمعة يجتمع فيه أهل رجال
البلدة يقوم فيهم أميرهم خطيباً أو ملكهم أو ذو الرأي فيعظهم
ويذكركم بما جنوا ويعظهم بكتاب الله ولقد مسخ ذلك كله
في هذا العهد وبقيت له صور شوهاء فهذه ثلاث اجتماعات
اليومية الخمسة . والاسبوعية الواحدة . والسنوية المراتن هذا .
عدا مجامع السبق والرمي والولائم في الأفراح . وما يماثلها من

كل ما ورد به الشرع . فالیومی لأهل المحله . والاسبوعی .
 لأهل القرية . والسنوي للبلد والقرى المجاورة لها . وهناك
 اجتماع للمسلمين كافة في مشارق الارض ومغاربها وهو الحج
 في بلد بين الشرق والغرب ملتقى الجهتين بمنزل عن معترك
 السياسة يحجون اليه كل عام أي من قدر منهم في العمر ولو مرة
 واحدة تتذاكر فيه أهل الاسلام ما عليه دولهم واختراعها
 وأحوالها وحكامها ونظامها . فيرجعون مفيدین مستفيدين فهذه
 هي المراتب الاربع العمرانية . فأی أمة أتقنتها وحافظت على
 كيائها قويت دعائمها واتحدت وجهتها وصارت كدول
 العرب في أول نشأتها . وهذا الذي قدمناه عمل اجتماعي من
 هذا الوجه ينظم المدن ويديم الأمن ويؤمن السبل وينظم
 الممالك كما أوضحه الغزالي في الاحياء

﴿ الجوهرة الثامنة والعشرون ﴾

(الوجه الثاني في الصلاة والحج)

وهذه الاعمال في الصلاة والحج تخرج بالعبد الى درجات
 القرب . فالمرء باقباله على الله ومناجاته والاقبال عليه ووصفه بأنه

رحمن رحيم . وانه مرب العالم كله من انسان ونبات وحيوان .
 تربية مشوبة بالرحمة يشمر فؤاده ما أبدع في العالم من الرحمة
 واللطاف وكيف أعطي كل شئ خلقه برحمته مع التدرج في الله
 التربية ويتصور انه أمامه يناجيه فيقول إياك نعبد وإياك نستكر
 نستعين . ويدعوه فيقول أدعوك لتهديني صراط قوم عرفوا اسمعهم
 لا صراط من جهلوا السبل فضلوا يتخبطون أو سبيل من
 غضبت عليهم لعنادهم وعصيانهم فاذا تكرر الاستحضار أشرق نور
 على القلب نور . لا سيما اذا صلى ليلا والناس نيام . وهذا
 الصلاة اذا خلت من هذا التوجه لم تن شئنا في أجر القرب
 من الله وانما ترجع الى اجتماع محض وحياة دنيوية . ومتى أخذ
 المصلي في فهم معنى ما يقول من المناجاة دعته مناجاته الى
 التوغل في العلوم والمبادرة الى اقتنائها من أى سبيل كما هي
 سبيل التي اختطتها لنفسى من أول نشأتى . وهكذا الحج فاذا
 حج المرء وهو غافل نال درجة الاسلام فحسب . وهو الانقياد
 الظاهري وهو لا يفيد غير النظام الاجتماعي وحفظ كيان الشر
 الملة باعتبارها اسلامية وليس له في الآخرة ولا في العقل قوم

ان يمدني نصيب . فاذا عرف مقصد الحج وانه قد خرج من
 هذه صحابه واخوانه وأهله وولده وماله طائعا لله قاصداً مكاناً جعله
 في الله شعائره وهاجره فاذا وقف بعرفات والشمس فوق الرأس
 كثر في نفسه والجمع حوله أن الله يجمع الناس للحساب كما
 فوالجمعهم للحج . وانه سيخرج من الدنيا كما خرج من أكثر
 من ما أحبه وانه سيجرد منها كما جرد من الخيط من الثياب
 ق هو هكذا فيرجع الحاج بعد التحقق من تلك المعاني كيوم ولده
 ذمأمه . ولا معنى لهذا إلا أن نفسه انقطعت الى الله ومالت اليه
 بما تذكرته بعد تهذيبها بمشاق السفر والنصب فأقلعت عن
 هذا الذنوب حتى لا ترجع . وما عدا هذا فهو حجب ذو وجه واحد
 الى وجهين .

﴿ الجوهرة التاسعة والعشرون ﴾

(في الزكاة)

وأعجب شيء في هذه الشريعة الزكاة فترى الحكومات
 الشرقية والغربية تفرض على الناس مغارم فيدفعونها ومنهم
 قوم يعطونها وهم لها كارهون . ففرضت الزكاة في الزرع

والذهب والكنوز والفضة والتجارة بتفصيل ليس هذا منتهى
 حتى ان من لديه شيء من هذا يجتهد في تقديمه للعامل الذي الرب
 ينصبه الحاكم تقريباً الى الله تعالى . وقال صلى الله عليه وسلم
 « صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم » فجعلها صدقة دائمة
 وسماها زكاة أي طهارة فلها وجه عمراني . وهو أن كل غني حال
 يلزم بدفع جزء من تجارته كل سنة وهو ربع العشر يعطى بدفع
 للفقراء والمساكين والعاملين والقوم الذين نريد تأليفهم لنسب
 ومن عليهم ديون وعلى الجيوش في الحرب وعلى المسافرين
 ولا نطيل به . فقد ذكره العلماء في الفروع فأدخلوا فروع
 العمران من الهندسة والطب وغيرها من المنافع العامة في ذلك
 هذا وجه عمراني . فبذلك تضحل الأحزاب المتربصة للشعر
 بالاغنياء اذ وجه حقدهم منبوذ . أما وجهة الشخص وقرين
 من الله فاعلم أن النفس مجبولة على البخل فجاء هذا الدين داعياً
 حثيثاً الى اخراج هذا الجزء من المال صدقة ظاهرة الاحسان
 للفقراء ونظام المدنية وباطنه تطهير النفوس من رذيلة البخل
 وفتح باب صفة الكرم التي أولها الزكاة . ووسطها الصدقات قسم

أعمالها تعميم الخيرات في الاعمال النافعة . وبناء المدارس
 الذي الربط . ومساعدة الجمعيات والحكومات في أعمالها النافعة
 سماع اكرام الضيف ومواساة الاغنياء والاصدقاء . وقطع السنة
 صدقات امن من السفلة كل هذا تقويم حتى لا تنقيد النفس بحب
 غشال الموجب للتعلق بالمادة في الحياة الدنيا فتخلص الروح
 عطش بدعها وقد فرغت مما ألم بها من الغواشي الطبيعية

﴿ الجوهرة الثلاثون ﴾

(الصيام)

يلي الصيام الزكاة وهو صيام شهر تعويد النفس على
 ذلك احساس بما يقاسيه الفقير من الآلام في فقره حتى يواسيه
 للشعر هذا وجهه الاجتماعي مع التعود على العفة ثم عروج الروح
 قربة يغلو الجوف الى عالمها بما نالت من الرياضة بترك الطعام
 داعية الشراب مدة النهار حتى تجلي في عالمها وتتهيج بصفتها وترفل
 ساقية حلل كالمها وهذا وجهه الروحاني الديني اه والى هنا وقف
 حل لنا جواد القلم في قسم العبادات ونحن الآن شارعون في
 قات قسم المعاملات والحدود والاحكام

❦ القسم السادس ❦

❦ الجوهرة الاحدى والثلاثون ❦

(المعاملات والاحكام والحدود والتعازير)

هذا القسم فى الاسلام خاص بنظام المدين ثم يقوى بدن
 العلماء رحمهم الله ان الانسان يجرى فى سبيل اوله الولاد لا خ
 جاذته الحياة مراحل السنون . نهايته الموت . غايته لقاء الله تعالى ان ش
 دابته البدن وبقاء شخصه بالغذاء وبقاء نسله بالتزواج فرم ببقاء
 امر الحياة جميعها الى ركنين المال والتزواج . فهذا القسم الاخير الى
 فى الدين الاسلامي اقل الاقسام ورودا فى الآيات القرآنية الا
 وأكثرها عناية لدى العلماء . تراه هو والعبادات قد صنفوا
 العلماء فى علم الفقه فكم زاولوا من احكام وقوانين ليسوسم
 الناس ويضبطوا المدن ويقيموا العدل والقسط فى الأمم اليقن
 يحكمونها ويدبرون شؤونها ولعمريه أن نظام القضايا أمرا
 دنيوى يرجع الى الدين بغايته . فالمرء فى الحياة لا بد من بقاء
 شخصه بالغذاء ونسله بالتزواج . وبعد ذلك يهذب نفسه

يغذى روحه بأنوار العلوم والعرفان . ويروض روحه على
 مروج الى مبدع العالم بأنواع العبادات مع الملاحظة والفكر
 الفهم والتأمل . وترى علماءنا اذا اضطرت لذلك وجهوا الهم
 اليه في غالب العصور لما رأوا من احتياج العالم اليه في نظام
 بقول من غلب على ظن كثير ان اتقانه وحده موجب لسعادة
 الآخرة كلاً ثم كلاً ثم كلاً الا إنما ذلك سعادة الدنيا بل شرط
 تعالين شروط سعادتها . أما الآخرة فمرجعها الفكر فيه والبصائر
 من ترقاة والعقول النافعة عقول تهذبت واستنارت وفكرت
 في العالم ونظامه وعرجت الى الخالق بصفائها . وعليه فأرقى
 رآها أقسام الست وأعلاها وأجملها وأبهها وأغلاها وأولها
 نفهم وأخرها قسم العلوم الكونية الذي صدرنا به مباحثنا في
 كتابنا . ألا ترى أن الكتاب الكريم كرره مراراً وتابعه
 المتكرراً ولمعرك لن ينظم أمر الغذاء والسعادة في الحياة الا
 أمراً بأقسامه وعلومه . ولن يحل الفكر بأنوار المعارف الا بجماله
 بقرائنه ويلييه اهتماماً ما ينبذ البدعة فتسم السياسات فالآداب
 فمقاله بادات . وأما قسم المعاملات فإنما يراد كدواء وشفاء للسقام

اذ العلوم العقلية من الامم منزلة منزلة الغذاء والاحكام
 الشرعية منزلة منزلة الدواء وهل تري احكام الميراث والهبة
 والبيع وغيرها الا للمنازعة والخصومة في الاموال . فصل
 العلماء احكام البيوع والربا والقرض والهبة والاجارة والعارية
 واحكام اللقطة والميراث والوصايا واحكامها والوقف والعقود
 والدعاوى وفصل الخصومات واحكام القضاة وتوليهم البلا
 وشروطها والعقوبات والسرقة والغصب وهذا للمال . وأما وقت
 للنسب فحد الزنا واللواط . واحكام الزواج والطلاق والخلع
 والظهار والملاعة . وقد تجتمع الأقسام النظامية في خمس كلمات
 حفظ الدين بقتل المرتد . والعقل بحد الخمر . والنسب بحد الزنا
 والمال بحد السرقة . والنفوس والاعضاء بالقصاص . وهذه
 الحدود اخص ما جاء به الاسلام من العقاب في الدنيا وهناك
 عقوبات أخرى لقطاع الطريق بالنفي . أو قطع الايدي والارجل
 وحد القاذف ثمانون جلدة



* الجوهرة الثانية والثلاثون *

(الشرع ميزان)

اعلم ان عقوبات هذا الدين على قسمين أحدهما الحدود
 كقتل المرتد لحفظ كيان الأمة من تفريق الجامعة بشروط
 مخصوصة كثيرة ورجم الزاني المحصن وجلد البكر ونفيه من
 البلاد سنة. وحد شارب الخمر أربعون جلدة بالضرب بالسياط
 وقتل القاتل وقطع عضو بقطع عضو آخر نظير ما صنع. وقطع
 يد السارق وهكذا « الثاني » التعاذير كالحبس والتغريب
 والضرب والتوبيخ والاعراض في كل ما كان حراماً ولم يرد
 فيه حد وهو تابع لاجتهاد القاضي ورأيه وفراسته متنوعاً تنوع
 أصناف الناس في درجاتهم وأخلافهم وعوائدهم من الإشراف
 أو الأوساط أو السوقة. وهذا ما قرأناه في بعض المذاهب
 كالشافعي. وترى أبا حنيفة يرجع إلى رأى القاضي أكثر
 ويمنحه أوسع. حتى أنك لتراه يبيح القتل في التعذير. فلو شرب
 انسان سيفاً على الناس جاز قتله. ولو اتضح للحاكم وثبت ان
 رجلاً يؤذى الناس جاز قتله سياسة

﴿ الجوهرة الثالثة والثلاثون ﴾

(مقصود الشرع ودرجات الاثم في العلم)

ورد في السنة قوله صلى الله عليه وسلم : ادروا الحدود بالشبهات » وقوله تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطفؤوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) تري الحدود والتعاذير وردت عن الشارع في الاول تحديداً وفي الثاني اجتهاداً من القاضي وتري الحدود حددت غاية العقوبات والتعاذير أدنى فأدنى وقد أرشد الله عباده الى التيقظ والسهر والتشمير والجذب بالاحصائيات ومراعاة درجات الاثم ووزنها بميزان العقل وتقديرها وان يكيلو للآثم كيلا ويزنوا لهم وزناً في الحقوق والقوانين حسبما يناسب حالهم ناظرين الى معنى الشرع جائمين حوله مع أخذ رأي نواب الأمة في ذلك . ألا ترى قوله صلى الله عليه وسلم « لا تجتمع أمتي على ضلالة » وهذا أصل من أصول الحياة الاجتماعية وأنت لو تأملت كتب الأئمة المتعاقبة أجيالها المتتابعة أصنافاً أمة بعد أمة وجيلاً بعد جيل في أما كن مختلفة من ترك و فرس و هند و صين و اسويين

ومصريين وغيرهم لرأيهم سلكوا مناهج تناسب استعدادهم
وتوافق مشاربهم (قد علم كل أناس مشربهم) ولن تفهم الأمة
الجاهلة ما تفهمه العالمة وناهيك أهل البرابرة بالمغرب اعتنقوا
مذهب الامام مالك رضى الله عنه . وهو أقرب الى الفطرة
وأبعد عن التأويل لم تتناوله الحضارة ولم تصهره مراجل
المدنية كما صهرت منهج أبي حنيفة بالعراق اذ تم ملوك العباسيين
ومن خلفهم من أمم الترك السلاجوقيين وبني عثمان وغيرهم
فأولئك دون علماءهم ما احتملته عقولهم من الفروع والاحكام
وهكذا ترى أن الامم الحية اذا اعتنقت هذا الدين كانت
أبعد نظراً وأسعى فكراً وأسرع خاطراً من أمة رسخت في
البداءة ولم تصهرها نار المدنية

✽ الجوهرة الرابعة والثلاثون ✽

(العقل والشرع)

لا غنى للعقل عن الشرع ولا للشرع عن العقل . ومما
تقدم علمت ان القوانين العامة في الاسلام نورها الدين
سياجها العقل صاحبها الفهم غايتها العدل يقول صلى الله عليه

وسلم «ادراءوا الحدود بالشبهات» وهذه قاعدة عجيبة مختصرة
فتحت لواضع القانون باباً من العلم. ألا ترى انه جاء رجل الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال زيت يارسول الله فقال صلى
الله عليه وسلم لعلك لمست فقال الرجل زيت يارسول الله فقال
صلى الله عليه وسلم لعلك قبلت فقال زيت يارسول الله وهكذا
وكان صلى الله عليه وسلم في كل مرة يستدير يمينا ويساراً
واماماً وخلفاً امام الرجل فلما أصرروا الا أن يقر أمر به فرجم
وأخبر أنه دخل الجنة. وترى الفقهاء في الفروع ينصون على أن
شبهة وأن قلت تدفع الحدود ويرجع للتعذير بل مجرد الانكار
في السرقة والزنا يدرؤهما وأثبت الزنا أمر يستحيل الا بالاقرار
والسرقة تثبت ولكن القطع فيها عسر لانه يحتاج لنفي الشبهة
ولو قال ان لي فيما سرقت جزءاً وأن عليه حقاً أو نحو ذلك
سقط القطع وبقي التعذير. هذه القاعدة أشبهت في شكلها
قاعدة الشفعة عند القاضي الاهلي فيتبدل القتل بالاشغال
الشاقة المؤبدة أو المؤقتة وهذا الحديث يدرأ الحد ويثبت
التعذير وللأمة ان تقرر في مجالسها الشورية ما يناسب

استعداد الامة انحطاطاً وارتفاعاً وهما هو أمامها أقصى عقوبة
 فلتجعلها نهاية القسوة عند الحاجة ولها ان تزن عقوباتها
 بأحوالها. ولتكن هذه شبهة كما جاء في التنزيل (أن في ذلك
 لآيات للمتوسمين) (أن لا تطغوا في الميزان) وأرسل
 صلى الله عليه وسلم معاذاً الى اليمن فقال يا معاذ كيف تقضي
 فقال أنظر في كتاب الله تعالى . قال فان لم تجد قال فبسنة رسوله
 قال فان لم تجد ما أردت في سنة رسوله . قال الفهم يا رسول
 الله وهذا معني ماورد فجعل للفهم مقاماً ولعلك تقول انما يفهم
 من مضى وقد سد الباب ولم يبق من ذوى العلم من يتسنى له
 الفهم ومجتهد والا عصر الاولى يغنون عمن بعدهم قلت ذلك
 لم يرد في النقل ولا يسلمه العقل بل ورد أن بعض من يبلغه
 خير ممن سمع فعن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله
 عليه وسلم في رواية البخاري قال (فان دماءكم وأموالكم
 وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في
 بلدكم هذا) وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم الا فلا
 ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض الا يبلغ

الشاهد منكم الغائب فاعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى
 من بعض من سمعه الأهل بلغت الأهل بلغت اه . وهذه
 الحجة آخر سنة من سني حياته صلى الله عليه وسلم . وفي هذا
 دليل على أن الأئمة المتأخرة لها أن تنظر وان نظرها ربما كان
 أدق . والقاعدة التي قررناها ضابطة شاملة . وهي أن الدين
 قواعد كلية تنزل من الأئمة على قدر عقولهم ومنزلتهم من الفهم
 فلن يغني متقدم عن متأخر ولا متأخر عن متقدم . ولذلك
 نرى كثيراً من نصوصه كآيات والاحاديث متعارضة
 متشاكسة . فمن نظر إليها بحسب ما يتجلى منها أول أمرها
 بات مستصعباً قد فضله عن الدين وتزيغه وتوقعه في الشك
 والأثم . ولكن العقول الراجحة والقلوب الواعية والنفوس
 الراقية والأذهان الزكية تفصل المعاني تفصيلاً وتورد لكل
 آية تأويلاً وكم من رجل ضل وكفر اذ عبس وبسر بعد ان
 نظر نظرة أفقية . وما مثل الدين الا كمثل الماء ينزل من السماء
 ويحيي الأرض قطره ويجللها مزنه فتكون منها الصخرية
 واليابسة والرملية والسبخة والجيدة النبات وهي الخندج كما

ورد في حديث البخاري عن ابن موسى رضي الله عنه عن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال (مثل ما بعثني الله به من الهدى
 والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت
 الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب
 أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا
 وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا
 تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله
 به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله
 الذي أرسلت به أه . وهذا بلا ريب ظاهر في الامم واختلافها
 في الفهم والتعقل على قدر ما وهبها الله من القوى والعقول
 وجاء في حديث (أمتي كالقطر لا يدري أولها خير أم آخرها)
 وهذا إنما يكون بالتعقل والفهم وفي قصة سليمان وداود عليهما
 السلام غنى لطالب الحكمة في هذا المعنى ذلك أنه ادعى صاحب
 حقل على رب غنم أنها أهلكته حرث حقله فقضى داود
 بتسليمه الغنم لجمعاء ملكا . وقضى سليمان بأن يعطى الغنم ينفع
 بذرهما ونسلها ويحرث الأرض رب الغنم ويزرعها حتى يبلغ

الزراع مبالغه اذ افسدته الغنم . ثم يأخذ رب الغنم غنمه . فكان
قضاء صادق محله ووافق المحرز ولم يعب على أحدهما بل كلاهما
يسمى ذافهم وجاء في هذا المعنى قوله تعالى (وداود وسليمان
اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم
شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) فمدح سليمان
بالفهم وأثنى على كليهما بالعلم والحكمة . ومقصودنا من هذا القول
أجمعه أن الأمم التى تنظر فى هذا الدين ينبغى أن تلاحظ
استعدادها وادراكها وتفهم الكتاب والسنة وتراجع كلام
الأئمة وتجتهد لنفسها هى وان هذا لا يعد مساساً لحقوق
الأوائل فلكل حال مقتضى وعمل يناسبها والقاعدة العامة
واحدة . وورد انه لما نزل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا من
يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة
على المؤمنين أعززة على الكافرين) أشار صلى الله عليه وسلم الى
سلمان الفارسي وقال هم قوم هذا وقد اعتاد دين الاسلام أن
تحمله أمة بعد أمة . حملته العرب وأوصلته الى الفرس وحملوه
فلما ضعفت الدولتان ظهر التتار وحملوه فنشروه فى الهند والصين

انشاراً أوسع . وفي هذا المقدار مقتنع لمقتنع . والى هنا وقف
جواد القلم عن الجري في ميدان الحدود والاحكام في هذا
الاجمال . هذا اجمال قواعد الاسلام الست التي وعدنا بالاجمال
فيها واكتفينا بهذا القدر وسنشرع الآن بعون الله تعالى
وتوفيقه في تفصيل الاقسام على ترتيب الاجمال . ولنوجه العناية
الى قسم العلوم والعمران والآداب اذ هي التي يعوزها الاطناب
﴿ تفصيل مقامات الاسلام ﴾

(القسم الاول العلوم)

قبل الكلام على هذا القسم نورد ثمانية مباحث (الاول)
الدين والعقل (الثاني) الدين والطبع (الثالث) خوارق العادات
(الرابع) من أخذ العلوم من الدين بدون فكر (الخامس)
الغلو في الدين (السادس) وجوب العلوم العقلية على الامة
لا يكلف الله نفساً الا وسعها (السابع) الصناعات (الثامن)
الوجوب الكفائي وعناية الدين بالعلوم



﴿ الجوهرة الخامسة والثلاثون ﴾

(الاول الدين والعقل)

أورد الغزالي في كتاب أحياء العلوم . جملا في الدين والعلم
وان العلوم العقلية تجري من الامم مجرى الغذاء . والعلوم النقلية
مجري الدواء . ومتى عكفت الأمة على الدواء ولم تفكر في
الغذاء اضمحلت أجسامها وهزلت أبدانها ومرضت أرواحها
وانحرفت أمزجتها ودنت من الزوال وساء الحال فلا غنى
للدين عن العقل وعليه فالعلوم الطبيعية جمعاء من طب
وتشريح وطبيعة وكيمياء . وعلم النبات والحيوان والانسان
وكذا علم الاجتماع ضرورية للعمران واجبة على الانسان وأى
أمة أقامت الحدود والاحكام وجهلت موارد الرزق ساء
مصيرها . وكيف تقيم الحدود على معدوم والناس إذا لم يزاولوا
هذه العلوم فلا حياة لهم وإذا لم تكن حياة فعلى من تقام
الحدود . وكما وجبت العقليات في الاحوال العامة للناس فهكذا
فلتكن للمرء في نفسه . الا ان تارة نجد نفوسنا تطمح في الشدة
والغلظة وتارة للين والرفقة وربما تجاوزنا الحد في أحد الطرفين

وكانت تلك العظام والحكم الواردة في كل منهما مرشداً
قوياً وناصحاً أميناً ومدواً لئلا يلهو السقم الروحي . وكما أن العضو
إذا اشتدت عليه الحرارة وزاد سقمة عاجله بالبارد . وإن
مرض بالبرودة عاجله بالحر فأصلحناه . ولن تعرف الحرارة
من البرودة إلا بالعقل والتمييز . وبعد ذلك نعالجه بضد ما سقم
به العضو فكذا نفعل بأخلاقنا ونداوى نفوسنا . فإذا مالت إلى
أحد الطرفين أرجعناها إلى الاعتدال بنصائح الدين فإذا طغت
نفوسنا بالأموال وشرهت وقست القلوب وحرصت على
المطامع الشهوانية ومدت الأعين إلى زينة الحياة الدنيا قرأنا
قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) وإن كرهنا المال
وابتعدنا عن الأعمال ووقعنا في الأهمال وتباطأنا عن المنافع
دوينا قوله صلى الله عليه وسلم « لا حسد إلا في اثنتين رجل
أتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس ورجل أتاه الله مالاً
فسلط على نفقته في الخير » وإن بخلنا قرأنا قوله تعالى (ومن
يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وإن بذرنا قرأنا قوله
تعال (ولا تبذر تبذيراً أن المبذرين كانوا إخوان الشياطين

وكان الشيطان لربه كفورا) فهذا نفهم أن مافى الدين أدوية
لا أغذية والعقل هو الغذاء والدين هو الدواء وفرق بين
المقاير الطبية وبين الأغذية التي بها قوام الأبدان ولا ريب
أن الاغذية تتعاضد على اقامة الصحة في الجسد وأما الادوية
فتضاد أفعالها ورب دواء يصلح الجسد ويزيل المرض وآخر
يبيد المريض في يوم أو بعض يوم

﴿ الجوهرة السادسة والثلاثون ﴾

(الثاني الدين والطبع)

طباع الناس ميالة الى اللذائذ والشهوات منقادة بالطبع
مقهورة لها مسخرة كأنها لها عابدة فتراها ميالة الى اللذات
البدنية من المآكل والمشارب والملابس والتزاورج والأبنية
والمفاخر والزينة والذهب والفضة والخيل المسومة واقتناء
الأنعام والحرث والنسل وهذا الميل ضرورى للحياة ولولاه
نحلا وجه الكرة الأرضية من ساكنيه وبادوا ولكن عادة
الانسان أن يتغالى في شهواته ويمعن في لذاته فجاءت الشرائع
لتضاد الطباع النهمه وتهاجم وحوش النفوس الكاسرة فتجد

بهم الى الطرف الآخر جهد الاستطاعة . عشق الناس المال
وأفرطوا في عشقه بخاء ذمه مراراً وذكر تكراراً وما القصد
من ذلك الذم تركه . والإضاعت الحكمة وإنما القصد الحقيقي
من الذم انفاقه في مواضعه وإتلافه فيما خلق له . ولم يكن المرام
من ذلك الذم الا تهوينه على النفس ليصرف في المصالح العامة
لأنبذه ظهرياً . فالطبع في طرف والدين في طرف . فيعتدل
الانسان في الوسط ولا ريب ان الاخلاق أوساط وإذا
وجدنا من ترك السعي على المال مراعاة لذم الكتاب زجرناه
وأمرناه بجمعه ومدحناه وزيناه له حتى يعتدل . وعلى هذه
القاعدة سنجرى في كتابنا إذ رأينا الأمة الآن لا تعير العلوم
جانب الالتفات لظنها براءة الدين منها فلها ندحض حجة
المنكرين ونبين وجوبها للمفكرين

✽ الجوهر السابعة والثلاثون ✽

(الثالث خوارق العادات مع الدين)

جرت عادة الديانات أن تؤسس على خوارق العادات
وتبني على أساس يأبى أن يتواز مع العلم أو يتآخي مع الفلسفة

فيكون العلم مع الدين في شقاق بعيد. وترى القرآن الشريف
 رغماً عما عليه عامة المسلمين صرح بمقصده فقال (وما منعنا أن
 نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة
 مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً واذ قلنا لك
 إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة
 للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا
 طغياناً كبيراً فذكر أن مسألة الاسراء ورؤية بيت المقدس
 ليلاً وأخباره عنه وهو لم يره قط وهكذا ما قرره في مقام
 آخر من ذكره شجرة ملعونة وهي شجرة الزقوم فأمن قوم
 وكفر قوم فهذا كله إنما هو تخويف وإرهاب فما ازداد
 السابقون الا طغياناً وكفراً. وذلك بعد أن مضت قرون
 وذهبت أمم وأجيال كذبوا اذ خوفوا كشمود أذهبوا بعجائب
 الناقة ذات اللبن الغزير تسقى عشائهم فقمرها قدار بن سالف
 فأهلكهم الله فخوارق العادات لا تؤسس أمة ولا تبني مجداً
 فكانت دعامة هذا الدين الحجاج الدامغة والبراهين العقلية
 ودراسة العلوم على اختلاف أشكالها فكانه يقول كنا نرسل

بخوارق العادات اذ كانت الأمم أطفالا والاجيال جهالا
 فنخوفهم ونزعجهم بغرائبها . فما زادهم ذلك التخويف الا كفرا
 ولا أرهقهم الا جهلا . ومثل خوارق العادات مثل العصا
 يزعج بها الصبيان وهم يتعلمون لا يدركون النافع والضار ولا
 الخبيث من الطيب . وهكذا كان شأن الامم السابقين والاجيال
 السالفين أخفناهم ببعض الغرائب لما جهلوا . ومع ذلك لم يكن
 لها حظ من تقويم النفوس واصلاح الشؤون الا بمقدار ما يتعظ
 الصبيان بالعصا وتزول البغته المبالغته والهجمة المزعجة وتؤوب
 العقول الى الرؤس . وما مثل تلك الخوارق الا كضابط ثقيل
 على الهواء لا يثبت أن يتمد اذا كشف عنه غطاؤه ويأخذ
 شكله الطبيعي فهكذا عقول الامم الجاهلة صبيان الامم نرسل
 عليهم الآيات فتضغط على العقول ضغط اليد على الهواء في
 قربة فاذا تنوسيت تلك المعجزة زال الايمان بزوالها . فلما الامم
 التي تعقل ما يلقي اليها فإيمانها بالقاء المعارف والعلوم وتعليمها
 التفكير والتبصر والتعقل كما أنزلنا عليك القرآن لهذه الامة
 لينظروا في العلوم ويتفكروا في خلق السموات والارض

لم تزل خرق العادات عصياً تفزع تلك الاجيال البائدة
 كل حين فأبدلناها بما يصقل العقول آناً فآناً في هذه الامة
 اذ دينها يستقبل العلوم بوجه باش وصدر رحب وسنتابع
 بعده الاكتشافات كمال قال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق
 وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وقال في آية أخرى (قل
 لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم
 اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى
 والبصير أفلا تتفكرون) فهنا يقول ليس أمر الله بيدي حتى
 أنصرف في خزانته ولا علم عندي فأخبر بالغيب ولست من
 الملائكة المجردين عن المادة وغاية ما لدي اني أنبئكم بما يوحى
 الي وقصارى أمركم انكم « قسمان » عاقل وغير عاقل فمن عقل
 وفهم ما لقيه اليكم فقد اهتدى ومن ضل فما أصنع له . أجهلهم فلم
 تتفكروا فسدأله أهل مكة مرة يقولون ان كنت نبينا فلتدع ربك
 يفجر لنا أرض مكة ينابيع وانرفها بساتين ذات أشجار وأثمار
 وأنهار أو تتساقط السماء قطعاً علينا أو نرى ربك وملائكته عياناً
 أو نرى لك بيتاً مشيداً وقصراً من ذهب أو نراك تصعد في

السماء ثم تأتي بكتاب من عنده نقرؤه فقال (سبحان ربى هل
 كنت الا بشراً رسولا) كما قال فى الآية السابقة ليس عنده
 خزان الله ولا يعلم الغيب وليس من الملائكة فلم يبق الا انه
 رسول من عند الله يبلغكم ما يقول وأنتم فيه تتفكرون فحجته
 الدامغة هى التعقل . وهذا لا ينافى أن خوارق العادات جاءت
 على يديه ولم يكن يقصد به الاعجاز وحده . وانما معجزته الحقيقية
 القرآن والتفكر فيه كما قال فى آية أخرى (وقالوا لولا أنزل
 عليه آية من ربه قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا
 جاءت لا يؤمنون وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به
 أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ولو اننا أنزلنا اليهم
 الملائكة وكلمتهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا
 ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) والمقصود
 ان خوارق العادات اذا جاءت لا تفيد الفائدة المطلوبة وتقلب
 القلوب والافئدة كأنها لم تؤمن بل لو رأوا الملائكة وكلمهم
 الاموات من القبور لم يفسد ذلك فائدة . ويبقون جاهلين
 وأبان ان المدار على الفهم فى القرآن الذى نص عليه فى آية

أخرى قال (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم
 أن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) وقال في آية أخرى
 (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء
 أن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) فهو يقول أن المصائب
 والآلام تحقيق بي والمكروه يسوءني فلو علمت الغيب
 لاحترست من مزعجات الليالي أو توقيت منها وما أنا إلا مبشر
 ومنذر لمن يصدقون بمقوله وكفى هذا شرحا لحال الرسول
 صلى الله عليه وسلم ومبيناً حاله إيما تبيان واذن لا يهولنك
 ما روى عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم مر على قوم يلحقون
 النخل أي يضعون الطلع الذي في ذكرانه في إبنائه فقال صلى
 الله عليه وسلم «لو لم تفعلوا لصلح» فتركوه فخرج شيصاً فر
 بهم فقال ما لنخلكم قالوا قلت كذا وكذا قال أنتم أعلم بدنياكم
 وفي رواية مسلم قال «إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم
 فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر» وفي
 رواية أخرى «أن كان ينفعهم ذلك فليصنعوا فاني ظننت ظناً فلا
 تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به

فاني

الذي

نحو

وا

قال

قلت

حي

الله

عد

فت

ما

م

الا

فاني لن أكذب على الله عز وجل » ومن هذا تعلم حال هذا الدين ان مداره على العقل والعلم والفكر . ولذلك سيرد عليك نحو ٧٠٠ آية في العلوم . وليس في العبادات والمعاملات والحدود أكثر من ١٥٠ آية إشارة الى القصد الاول منه

﴿ الجوهرة الثامنة والثلاثون ﴾

(الرابع من أخذ العلوم من الدين بدون فكر)

من أخذ العلوم من الدين بدون فكر فهو غر جاهل قال الفزالي في الاحياء في الجزء الرابع في باب الشكر فان قلت قد ادخلت المال والجاه والنسب والأهل والولد في حيز النعم . وقد ذم الله تعالى المال والجاه . وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا العلماء قال الله تعالى (ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) وقال عز وجل (إنما أولادكم وأولادكم فتنة) وقال على كرم الله وجهه في ذم النسب . الناس أبناء ما يحسنون وقيمة المرء ما يحسنه . وقيل المرء بنفسه لا بآبائه فما معنى كونها مذمومة شرعا . فاعلم ان من يأخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المؤولة والعموميات المخصصة كان الضلال

عليه أغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى الى ادراك العلوم على ما هي
 عليه ثم يترك النقل على وفق ما ظهر له منها بالتأويل مرة
 وبالتخصيص أخرى . فهذه نعم معينة على أمر الآخرة لا
 سبيل الى جحدها الا أن فيها فتناً ومخاوف الى آخر ما قاله من
 تمثيله المال بالحيلة ومنافع الدين بالترياق وغرور الدنيا وشهواتها
 بالسم والعلماء والأنبياء والحكماء بالرجل المعزم . والناس كلهم
 يجهلون الترياق الا المزم فانه قادر فيجب ابتعادهم عن المال
 كما يتعدون عن الحية وهكذا شبهه بالبحر والشهوات بالتمساح
 ومنافع الدين بالحواجز أسفل الماء والأنبياء والعلماء غواصون
 والناس جميعاً لا يعوضون فلن يقدر على استخلاص الجواهر
 الا ذو الدراية . هذا ملخص ما أطل به في هذا المقام والذي
 نحتاج اليه فيه ما أظهره رحمه الله تعالى من أن المدار في العلوم
 على العقل والبرهان والتحقيق وأما ظواهر الآيات فلها
 أغراض تناسب الجمهور والخواص يحتاجون لدقة حتى ينالوا
 حظاً منها

✽ الجوهرة التاسعة والثلاثون ✽

(الخامس الغلو في الدين)

الغلو في الدين ممقوت قال الله تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض) نهي عن الغلو في الدين فلا نرفع الرسل إلى درجة الألوهية ولا نسهم بالعصيان بل يبقون في درجة تناسب التبليغ وهكذا الأولياء والصالحون نعتقد فيهم أن لهم عند الله زلفى بقدر ما عملوا ولن ينفعوا ولن يضرروا إلا باتباعهم ومخالفتهم وإيمانهم قدوة فلنجتهد في تقليدهم ونسارع إلى الخيرات فتعظيم القبور والتغالى فيها ونحو ذلك كله غلو في الدين ورجوع إلى الوثنية



﴿ الجوهرة الاربعون ﴾

(السادس والسابع وجوب العلوم العقلية على الامة والصناعات)

بناء على ما سمعت من المقدمات وما فهمت من المقاصد
 تري أن العلوم العقلية من حكمة وطبيعة وفلك واجبة على
 الامة . فاذا نبذتها عذبها الله مرتين مرة في الآخرة ومرة
 في الدنيا بنقص المال والانفس والثمرات . فنقص المال بذهاب
 العلوم الطبيعية المعينة على اقتنائه كالزراعة والبيطرة وعلم
 المعادن والتجارة والحياكة وآلات السقي والطحن والخبز
 وآلات الحرث والبناء وهكذا . ونقص الانفس بجهل الطب
 ونقص الثمرات بترك جميع العلوم حتى الفلك ويرشدك الى
 وجوبه قوله تعالى (أو لم ينظروا في ملكوت السموات
 والارض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد
 اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون) كأنه يقول اذا تركتم
 النظر فلا علوم وإذا لم يكن علم ذهبت دولتكم وقامت قيامتكم
 (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وقال
 (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وهذا كما يقول

الرجل لمن يعلمه انظر الذي أمامك وافتح عينيك تحريراً
 له على الانتفاع منه والعلم بما فيه . والآيات في وجوب النظر في
 جميع العلوم كثيرة فلا نطيل باعادتها بل سيأتي قريباً ما وعدناك
 به منها وقال صلى الله عليه وسلم « اطلب العلم فريضة على كل
 مسلم ومسلمة » فاعلم ان وجوبه يختلف باختلاف الازمنة
 والامكنة كما أوضحه الغزالي في الاحياء . وهو يدور مع الحاجة
 وجوداً وعدمها . فما احتاج اليه جميع الافراد وجب عليهم وجوباً
 عاماً . وما احتاج له المجموع وجب على افراد من الامة يقدرون
 على القيام بأمره . وجبت الصلاة على كل عاقل ليندكر الله في
 الاوقات الخمس حتى يرى في نفسه نزوعاً الى خالفه ويكون
 زاداً للمعاد . وأما وجوب الزكاة فعلى من لديه المال فيتعلم من
 الزكاة بمقدار ما أوتي من المال المزكى ويعلم من الصيام ما تم
 الحاجة اليه . واذا وجب عليه الحج وجبت عليه معرفته . ولما
 انتشرت المدنية وعمت الحضارة وجب على كل مسلم ومسلمة
 أن يتعلم قليلاً من القراءة والكتابة وأول آية نزلت قوله تعالى
 (اقرأ بسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ

وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لا يعلم (فاول
ما قرع سمع النبي صلى الله عليه وسلم العلم والقلم وفى سورة
أخري (ن والقلم وما يسطرون) فاقسم بالقلم تعليماً لأمته وفتحاً
لباب التعلم بالقلم الذى صار أول شرط من شروط الحياة وكما
يجب على العامة أن يتعلموا فن الكتابة يجب أن يعرفوا
ما حولهم من الكائنات المسمى فن الاشياء . ولا ريب ان الاشياء
هي مبادئ العلوم كلها فلا علم الا وله مباد فيها كالنجوم
والنبات والحيوان . واذا تأملت الآيات التي سنوردها تجدها
أشياء مما يحيط بالانسان بأسلوب جميل بشوق القارئ

وفى كل أمة أفراد امتازوا بقدره فى المال وقوة فى العقل
والفهم وميل الى فن أو فنون من طبيعة أو غيرها وهؤلاء
يجب عليهم باعيانهم التوسع فى تلك العلوم حتى يفيدوا أمتهم
بها . وهذا هو الواجب الكفائي . وعلى الحكومات الزام عدد
من الأمة كاف لتخريج أناس منهم لحفظ العلوم ودرسها
ونشرها من رياضة أو طبيعة أو فلك أو حكمة فان قصر العامة
أو الخاصة أو غفلت الحكومة عن حفظ الموازنة ضاعت الأمة

وحق عليها القول ومما يستأنس به للوجوب قوله تعالى (ولتكن
 منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن
 المنكر وأولئك هم المفلحون) وقوله (فلولا نفر من كل فرقة
 منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
 لعلهم يحذرون) وعلى من آانس في نفسه القدرة على نوع من
 أنواع العلوم أو الاعمال كالتجارة والصناعة أن يتقدم له ويجد
 فيه وهو فرض عليه . ومن العجب انك ترى ان الفطرة
 الانسانية أودعت فيها أسرار وحكم ووزعت عليها الاعمال
 وفي ظني انك لو راقبت الصبيان وأحصيتهم لاستخرجت
 منهم الاعداد اللازمة لحفظ كيان الامة ولتجدن استعداد
 الهندسة والزراعة والطب والميكروب لكل فن منها عدد يكفي
 الامة كما خلق الذكر والانثى بلا دخل للخلق في تنويعها فكذا
 فلتكن الامزجة واستعدادها للعلوم والصناعات بل لا شك في
 ان هذا حاصل . ولو أن الحكومات راقبت الغرائز في إبان
 نشأتها لا لقتها كما ذكرنا . ولكان هذا أجمل ما حصلت عليه
 المدنية قال تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها) (ولكل

وجهة هو مولياها) ولما سئل صلى الله عليه وسلم قال « جف القلم
بما هو كائن أو كان » قال رجل انتكل اذا يارسول الله فأطرق
برأسه ثم قال « اعملوا فكل ميسر لما خلق الله » اشارة الى
ما قررناه الآن ومن ساعدته فطرته وقصر به ماله وجب على
الامة اسعافه بالمال حتى يحيا فطرته ولا تموت غريزته وهذا
ما فهمناه من قوله تعالى (لا يكلف الله نفسا لا وسعها)

ومن هذا عرفت الواجب العيني والواجب الكفائي
والصناعات كالعلوم في الوجوب فيجب على كل فرد أن يتعلم
صناعة والا عاش ذليلا وعوقب في الدنيا بالاحزان وفي
الآخرة بالعذاب والحكومات مسيطرات فعليه أن يلزم
الافراد بذلك وما دامت الامة تحتاج الى ابره أو محرث أو
آلة بخارية من الخارج فهم يعاقبون في الدنيا والآخرة وهذا
هو مذهب علماء الاسلام قاطبة

﴿ الجوهرة الحادية والاربعون ﴾

(الثامن عناية الدين بالعلوم)

مما سبق تعلم مقدار عناية هذا الدين بالعلوم العقلية

والكونية حتى إنك لترى ان مناط جميع الاديان في الامم
 السالفة إنما هي العبادات والصلوات وأشياء أخرى ومناط
 هذا الدين . أولا وبالذات العلوم والنظر في الكائنات لتتربي
 في المرء ملكة الوجدان ولقد جاء في التنزيل (وقل رب زدني
 علما) وجاء في قصة الخضر وموسى عليهما السلام ان موسى قام
 خطيباً في بني اسرائيل فسئل أي الناس أعلم فقال أنا أعلم فمتب
 الله عليه . إذ لم يرد العلم الى الله . فأوحى الله اليه أن عبداً من
 عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك . قال يا رب وكيف به
 فقيل له احمل حوتاً في مكمل فاذا أفقدته فهو ثم وكان ما كان
 مما هو موضح في القصصه في البخاري . ومنها أنت الخضر
 عليه السلام قال لموسى عليه السلام اني على علم من علم الله
 علمنيه لا تعلمه أنت . وأنت على علم علمك الله لا أعلمه . ولما
 استويا في السفينة جاء عصفور فنقر نقرة أو نقرتين من البحر
 قال الخضر يا موسى ما علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة
 هذا العصفور في البحر وكان ما كان من المعجائب التي جرت
 على أيديهما والحكم المودعة في قصتهما

أيقظنا هذا القول الى الاستزادة من العلم أمد الحياة
 وأن لا نقنع بما لدينا من العلوم . كيف لا وهذا موسى وهو
 نبي سافر للعلم . وهذا الخضر يقول أنت تعلم ما لا أعلم وعلم
 الله لا نهاية له . فالمرء مادام حياً ملزماً بالتعلم من غيره حتى اذا
 استوفى علم المخلوق أخذ في الاكتشاف والاختراع . وقد قلنا
 أن آيات العلوم تبلغ أربعاً وعشرين ضعفاً من آيات العبادات
 وها نحن شارعون في تفصيلها كما وعدنا وهي تبلغ نحو سبعمائة
 وثلاثة وستين آية جمعها الفزالي في بعض مصنفاته وسند كر
 كل آية ونعلق عليها ما يناسبها عند الحاجة ونذكر ما أشارت
 اليه من العلوم فاذا تمت الآيات أحصينا عدد الاشارات للعلوم
 وجمعناه عدداً واحداً

وترى العبادات والمعاملات مائة وخمسين فاذا أسقطت
 ما جاء في المعاملات لم تبلغ آيات العبادات مائة

وترى علماء الاسلام قصرت عنايتهم عن العلوم وهي في
 نظر صاحب الشرع عليه السلام أهم وفي الآيات التي سأوردها
 إيماء لجميع العلوم كالفلك والتقويم والعلوم الرياضية والنبات

والحيوان والإنسان والحكمة والتوحيد والطبيعة والكيمياء
 وغيرها من بقية العلوم التي تفتخر بها أمم العالم. ولعمري من
 قرأ هذه الآيات وتدبرها ينمو في قلبه وجدان صحيح ويشب
 في عقله حب العلوم وغريزة الفهم ويقبل عليها. ولا يكاد يتمها
 حتى يحس بوجودان إلهي وشوق لمبدع تلك العجائب وولوع
 وفرح بتلك الغرائب

وها نحن شارعون بحمد الله في المقصود فنقول ان
 الآيات سترد عليك متتابعة تشمل النظر في العلوم والتأمل
 في الحكمة ولقد نرى في الآية الواحدة آداباً وعلوماً
 فنذكرها لما غلب من علمها على آدابها

﴿ الجوهرة الثانية والأربعون ﴾

(سورة الفاتحة)

(بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن
 الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا
 الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم
 ولا الضالين) بدأ برحمة الله تعالى التي شملت العالم علوية وسفلية

وثنى الله على نعمائه ورحماته التي وسعت العوالم كلها . فشملت
 الطير في وكره والوحش في قلاوته . والنجوم في مداراتها .
 والشموس في أفلاكها . فنحن نحمد الذي ربى هذا العالم تربية
 مزجت رحمة عامة فتراه ربى النبات والحيوان والانسان
 وأعطى كل نوع منها ما يدوم به ارتقاؤه . ويلائم مزاجه فلم
 تكن تربيته لعالم واحد منها (الحمد لله رب العالمين) وتحتاج
 التربية الى رغبة ورهبة فقلوه (الرحمن الرحيم) هي الرغبة
 وهي ما أحاط بالانسان والحيوان في حياته من النعم الوافرة
 والآلاء المتواردة والعطف والمنح الظاهرة والباطنة والرغبة
 في قوله (مالك يوم الدين) فهو المالك للعالم يوم الجزاء والدهر
 كله يوم جزاء للنوع الحي فلا حي الا وهو مجازى في كافة
 لحظاته وحركاته وسكناته على ما قدمت يداه فيجني المرء مما
 زرع في شبابه عند هرمه ويحس المقصر بألم في قلبه وفقر
 وأفلاس في ماله والله هو المالك لنواصي الاحياء في حياتهم
 وبعد موتهم فكأنه يقال الحمد لله على أن تربيته عمت الانواع
 كلها . وشملتها الرحمة واللفظ والعطف . ولم يذر العباد

وشأنهم بلا ارشاد وإيقاظ لثلا يفرطوا في ذنوبهم ويجمعوا
 إلى الشرور ويطمحوا إلى الهلكات . فحصرهم بالقهر وانزال
 المحن والبلايا على من لم يعتدل في سيره . فملك الله زجره .
 وتولى بنفسه تأديبه فالهم (اهدنا الصراط المستقيم) ومن
 شأنه الرحمة العامة والقهر العظيم نحن نطلب منه أن يهدينا إلى
 طريق استقامت جادته . ونجا سالكوه طريق من سمي
 إليك نخلت عليه من نعمك خلعا . والبسته من رحمتك أثوابا
 ومن رضاك جلبابا . فسبقت رحمتك غضبك لا صراط من
 غالتهم غول العقاب والجزاء فغضبت عليهم فجعلوا جهلا مطبقا
 وجمدت قرائنهم على مآلديهم من العلم . ولا صراط الذين ضلوا
 السبيل فلم يهتدوا فقله أنعمت عليهم يناسب الرحمن الرحيم
 وقوله غير المغضوب عليهم الخ . . يناسب مالك يوم الدين
 وملخص هذا الدعاء الثناء على الله بعموم رحمته العالم . وملوكه
 نواصيهم ونحن ندعوه أن يقودنا بالرحمة ويجعلنا ممن قادم اليه
 باللين والعطف والرأفة بأن نعرف نعمه وأسرار علومها فهتدي
 بها ونهتج نهج من ساروا على نهج الاعتدال وأن يجنبنا

سوط غضبه بصفة القهر والسلطان التي لا يقاد بها الا المجرمون
الذين جبلتهم تنبو عن الكرم والرحمة ولا يقادون الا بسياط
العذاب واللعة

والناس في الدنيا قسمان قسم استقاموا وعلموا وادركوا
وفهموا أولئك ساقهم الله بصفة الرحمة وقسم جهلوا وان تعلموا
استعملوا العلم في التسفل واعمال الشهوات أولئك يقادون
بسلاسل القهر والجزاء وعذاب الآخرة بصفة مالك يوم
الجزاء علوم هذه السورة فن الحكمة إذ هو فن تدرس فيه
عموميات العلوم وأصناف الموجودات ومبادئ العلوم

﴿ الجوهرة الثالثة والاربعون ﴾

(في سورة البقرة أربع عشرة آية)

الاولى (الذي جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء
وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا
تجملوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) في هذه الآية أربعة أصول
الأول كون الأرض فراشاً كناية من التمكن عن الانتفاع
بها وهذا لن تنال معرفته الا بعلم طبقات الأرض - المعادن -

الجغرافيا . (الجيولوجي) وعلم المعادن (ميتريولوجي) والسماء
 وعلم تقويم البلدان (الجغرافيا) الثاني جعل السماء بناء وهذا
 مداره على علم الهيئة (استرونومي) الا ترى ان الهيئة تربك
 مجموعات الكواكب المنتشرة في فضاء السماء فترى للناظر ان
 هناك فضاء عظيما . ولا ريب ان هذا بمنزل عن البناء ولن
 يدرك عاقل ان العالم فوقنا بناء الامتي فقه سر الاثير المالى للعالم
 المفروشة فيه الكواكب والشموس والأقمار كأنها مرصعة
 في أطرافه ولكنها مفروشة في جوانبه وأكنافه . ولولا هذا
 الجسم اللطيف الشفاف ما تألق برق ولا جرت كهرباء ولا
 كانت أسلاك تلغرافية ولا كان تلغراف (ماركوني) الذي
 ينقل الاخبار بلا سلك تراه . فهذا الخلاء الذي بين هذه
 الاجرام المنيرة ممتلئ بجسم لطيف لا تراه العيون ولا تتخلله
 الظنون لا تخلو منه السماء ولا تخلو منه الأرض فهو بناء
 ثابت لطيف رقيق لا يتخلله أدنى شقوق (فارجمع البصر هل
 ترى من فطور) وشأن البناء أجسام صلبة تتخللها أخرى
 لطيفة تتماسك بها . الثالث (وأنزل من السماء ماء) وهذا

يسلك بنا أن ننظر في السماء وتكون فيها وأقطارها وبرقها ورعدها
وفيه علم الجو والسحاب والأنهار والتبخر . الرابع (فأخرج
به من الثمرات رزقا لكم) وفيه الكلام على الثمار واختلافها لونا
وطعماً وقدرًا ومنها دواء وغذاء وفاكهة وزيت وأدم وكيف
كان تكونها وما أسبابها

﴿ الجوهرة الرابعة والأربعون ﴾

الثانية (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى
إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) في
هذه الآية أصلان عظيمان . الأول ما في الأرض جميعاً . والثاني
تسوية السماء وجعلها سبع طبقات . الأول يحتاج إلى علم المعادن
والحيوان والنبات والإنسان والعمران . والثاني علم الهيئة وكيف
يتسنى لا يرى أن ينتفع بما أجنته الصخور وضمته البحور
وكن في الهواء واستكن في الماء من المعادن كالذهب والفضة
والأحجار الثمينة والجواهر واليواقيت والمرجان والأسماك
والكهرباء والأعشاب والغابات والسهل والجبل والقفور والسحاب
والنبات والحيوان والإنسان إلا إذا مارس فنون المعادن

وطبقات الأرض وفن الحفر واستخراج السائل المسمى
 بالبتروول وغاص البحار ونظر ما فيها من المرجان والجواهر
 وعلوم الطبيعيات وقوله (لكم) داع حثيث للبحث والتنقيب
 والطلب ومتابعة الاكتشاف والجولان في البر والبحر هذه
 الآية صورت الانسان بشكل الملك المسيطر والخليفة
 الثاني تسوية السماء وكونها سبع طبقات . أما تسويتها فأمر
 معقول بالهيئة يعلم بالنظر في الحساب والهندسة والجبر وبأيها
 الفلك ولعمري كيف تعرف تسوية السماء وهندستها ونظامها
 وإتقانها الا بعلوم الهيئة وكيف تدرك الهيئة الا بالحساب
 والهندسة والجبر وهناك يدخل الانسان في طور من الجمال
 مبهج يسره فهناك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
 على قلب بشر . وقف على الماديات وجهل العقليات . وما أبهج
 نفس المرء اذ يعرف الشكل البيضاوي الذي تدور عليه
 الشمس والكواكب السيارة وما أسره حين يقف على دوائر
 الكواكب الثابتة بالبرهان العقلي . وكيف تتركب الشهور
 والسنون والقرون . وكيف يختلف الليل والنهار ويفهم إذ ذاك

ما تخردونه أعناق الملوك والجبابرة الجهال . ولعمري ليس
كل ناظر للهيئة قرير العين إلا انما ذاك الذي يدرسها ناظراً
لحسن اتقافها ومحاسنها وجمالها . ولقد أودعنا في كتبنا الأخرى
من هذا ما فيه غني ولولا أن هذا الكتاب لقوم برعوا في
العلوم لا طلنا المقام ولوفينا الكلام حقه . أما كون هذا البناء
الرفيع سبع طبقات فهو سر يعلم بمجرد الظن كأن تقول ان
هذه الطباق أقدار الكواكب باعتبار الذي درس في الفلك
والتقويم والحساب والهندسة والجبر والكواكب وغير ذلك
ولعل في العلم بعد ما يكشف الغطاء عنه ولذلك أعقبه بقوله
(وهو بكل شيء عليم)

﴿ الجوهرة الخامسة والأربعون ﴾

الثالثة (قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت
العليم الحكيم) هذه الآية تفتح باب الاكتشاف واستطلاع
ما ذرأ الله في الأرض واشعار النفوس بان وراء ما علم الناس
من المعارف حكماً وغرائب . فهذه الآية تتناول اليها الأعناق
وتشخص لها الابصار كما جاء في مسألة الخضر الآتية الذكر

ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا كما نقص ذلك الطائر من
 البحر وقول الخضر انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت . وانت
 على علم علمك الله لا أعلمه انا . اشعار للنفوس واستنهاض للهمم
 وتحريك للعزائم وايقاظ للعقول وتنبيه للافهام بما وراء علومهم
 من الاسرار والحكم وانا لا نستصغر فناولا نستحققر علما وانا
 لا تأنف ان نأخذ عمن تظن نفوسنا انها أعلم منه فالعلم باب
 واسع وبحر لا ساحل له وقوله (الا ما علمتنا) اقرار له بالشكر
 على ما نعلم عن علمنا واعتراف بان ما يتعلمه المرء من غيره أو
 من اكتشافه اسناده الى الله ومرجعه اليه ولا جرم ان المعرفة
 بالاستعداد والالهام والتعليم بمعلم بشري راجعة الى الله مبدأ
 وغاية وفي هذه الآية صفة العلم والحكمة لله تعالى ويرجع
 الى فن الالهيات من الحكمة

﴿ الجوهرة السادسة والاربعون ﴾

الرابعة (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض
 وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) فيه ان القدرة
 لله وحده هو مالك السموات والارض ولا ناصر ولا ولي

سواه واعداد النفوس الى التشمير في العلم والعمل والثقة بالله تعالى . وفيه صفة القدرة من فن الالهيات والاعتماد على الله في النصر ولا جرم ان الاتكال عليه كما أوضحناه مناطه الجدل في الاعمال التي سنهها الله في العوالم واستخدام النواميس والاعضاء والآلات التي منحها الله لعباده والتشكيب عنها جنوح الى ترك الانتصار به كما أوردناه آنفاً في حديث الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وابنا هناك ان التوكل اعتماد بالقلب وعمل بالجوارح وسير على السنن لليهود . وما سوى هذا جنف واثم وعدم ثقة بالله وببذلما سنه للبشر من القوانين وما شرعه من الاوضاع الكونية فاستنصر بهواه لا بما رآه مسنوناً طيباً

﴿ الجوهرة السابعة والاربعون ﴾

الخامسة (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم) الله جل وعلا منزه عن المادة يرى من الاجسام تعالى عن الابصار لانراه بهذه العيون . فليس معنى ذلك اننا نرى وجهاً لله أينما حملنا أو ارتحلنا شرقاً أو غرباً بعيوننا

على أننا لو فرضنا ما استحال وكان له وجه ينظر بالابصار
وتمتد إليه الأشعة وتقابله الوجوه وله عينان وأذنان وفم وأنياب
كما للآدميين. كيف نراه في الشرق والغرب ونرى هذا
الخطاب عاما لكل من له بصر وعقل والآدميون على وجه
الكرة الأرضية يبلغون نحو مليار ونصف. فكيف يرى كل
منهم وجهه الواحد واذن رجع الأمر أن ادراكه بالبصيرة
لا بالبصر ووجهه ما يستشعره المرء في آيات الكائنات من
الجلال والجمال الطالعة على وجه الطبائع الجميلة في الكرة
الأرضية والأجرام السماوية. وهذا معنى مارسه رسول صلى
الله عليه وسلم من قوله «اذكر الله عند كل حجر وشجر» وهو
إيقاظ للعقول وتنبه لها أن كل ما نراه تشعر العقول بأثر خالقه
فيه فكل نظرة أو فكرة فيها يثاب المرء عليها بهذه فالمرء في
فكرته جزاء جميل من الخالق وهي عبادة فاذا غلب على قواد
شعور أثر الخالق فيما يراه من العالم تربت له ملكة حب
الله عز وجل وزاد يقينه فليشعر للعمل واثقا بالخير في دنياه
والرضا في آخره وختم المقال بأنه واسع عليم تحريض على

استطلاع خبايا العلوم وكشف الاسرار والاكتشافات واذا
كان لله وجه فيما تراه العيون وتسمعه الآذان أو تدركه
البصائر فآثاره تتم على كل كائن ولا جرم ذلك يدعو للجزم بأن
لتلك الكائنات أسراراً لما لله فيها من الوجه والسر والحكمة
واذا كان الله واسعاً في قدرته وعلمه محيطاً بأسرارها فلا جرم
ان كل مالدنيا من الكائنات فيه من الحكمة المودعة مالا
يستقصى وكلما وقفنا على سر فلنذكر قوله تعالى (فم وجه الله)
ونوقن ان وراءه أسراراً اذ وجه الله لا يزال فيه (والله واسع
عليم فاذا اكتشفت الاناسي الف سر قالوا (فم وجه الله)
فليكن ما وراءها آلاف حكمة. وهذا ما قاله أحد أعضاء المجلس
العلمي البريطاني في أول هذا القرن اذ قام خطيباً فقال كانت
العناصر أربعة في الأعصر النابرة فقد وصلت الى نيف وسبعين
وتشعبت فروع العلم وأصبح كل عنصر يدعو الى التنقيب عن
أسراره فلهـ مركب من عناصر وهذا الهواء كان بسيطاً
فصار مركباً من مادتين ثم وصل الآن خمساً الا كسجين
والازوت وبخار الماء والفحم ومادة خامسة «أرغون» فيما

أظن وقال كل واحدة منها تستدعي سيراً حثيثاً عسى أن يكون وراءها تحليل وتخل إلى عناصر ونحسب أصلاً كالهواء وتسير سيراً لا نهاية له ولا غاية لمداه . فليشمر الإنسان في البحث عسى أن يكون في قوى نفسه وفي الكائنات حوله ما تنبئ منه أشعة جديدة وقوى مودعة ولا يقف عند حد في قوته ولعل في نفوسنا أسراراً وحكماً فليجد في الرقي والعلوم ولا يقف رجل عن العلم والعمل لحظه فلعل في نفوسنا وهي أجمل العالم قوى وراء ما وصلنا اليه وأنا أقول قد تجدد لي نشاط في نفسي عند كتابة هذا الموضوع وأملت أن أنال من القدرة والعلم شيئاً بعد ما نلته . وإذا كانت الذرات في الطبيعة تبدى عجائب لن تقف عند حد محدود وتحدث كهرباء وعجائب فما بالك بنفوس أشرف ما نراه وأجمل ما أودع في الكائنات ولعل في نفسك أيها القارئ من القدرة والقوة ما لم يكن ليخطر ببالك وكم من ضعيف ظهرت على يديه أعمال خرت لها الأقوياء سجداً وكم من رجل لا يؤبه به جد وأعمل الفكر فانار للعالم مصابيح من أشعة علمه وسن لهم قوانين من حكمه كامنات

وفي التاريخ من هؤلاء كثير وذلك لما لله في العالم من الوجه
وشمول علمه وسعة قدرته لها ولن يتناهي ما فيها وهذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا قاتلهم ولو وحدي »
ويقول الله لنبيه (وقل رب زدني علما) وهذا نابليون يقول
— لا مستحيل —

﴿ الجوهرة الثامنة والاربعون ﴾

السادسة (وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في
السموات والارض كل له قانتون) لا ولد لله فالناس سواء في
الحقوق ملوكهم وسوقهم خاصتهم وعامتهم فلا مسيطر الا
الله ولن تري مخلوقا الا وهو قانت مطيع لله طاعة تسخير
وسير على قانون سنه في الطبيعة ملط عليه الشهوات والهمم
ما يقيم به حياته فهو محاط بالهواء والشمس والحكومة والامم
تجرى عليه شرائع الطبائع وقوانين الحكومات فلن يخرج
عن هذا السنن الامن تجرد عن المادة وهو مدير هذه الاجرام
وكل له قانتون مسخرون ساجدون كما قال في آية اخري (والله
يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم

لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون)

﴿ الجوهرة التاسعة والاربعون ﴾

السابعة (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم) يقول
يا محمد أن الله مطلع عليك وسيدفع عنك كيد الكائدين اذ هو
السميع لما تقول ويقولون العليم بما تعمل ويعملون وسيظهر الحق
ويخفي الباطل عدة للمصلحين في الامم بالنصر وظهور الحق
وهذه مسألة نخر بها الغربيون من قولهم لا يبقى الا الاصلاح
ولا بد من ظهور الحق وخفاء الباطل صرح بها الله لنبيه
قائلا سأنصرك فاني عالم ما تعمل وقد أجريت سنتي ان أرفع
الحق وأخفي الباطل

﴿ الجوهرة الخمسون ﴾

الثامنة (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن
له عابدون) صبغة الله هي معرفة الدين والعلوم ويقول لا أحسن
من صبغة الله ونحن له عابدون

﴿ الجوهرة الحادية والخمسون ﴾

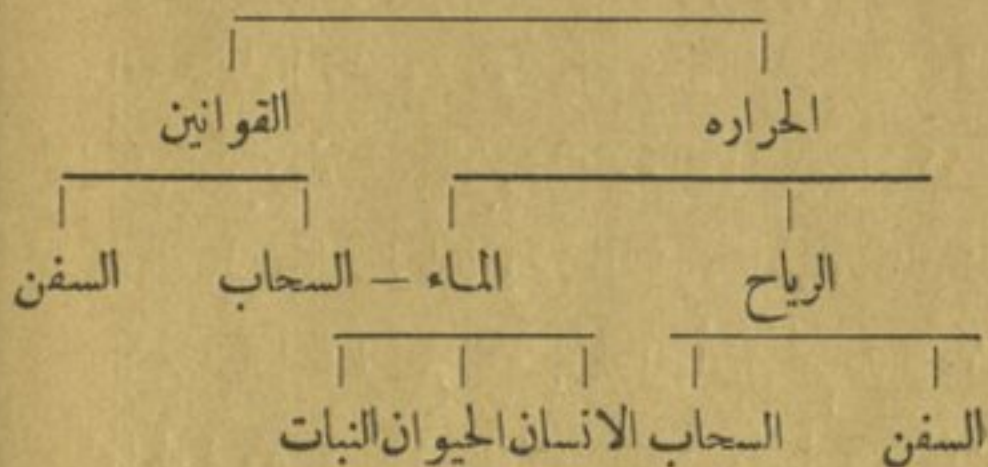
التاسعة والعاشره قوله تعالى (والهمم إله واحد لا إله

الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض
 واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع
 الناس وما أنزل الله من السماء الى قوله (لآيات لقوم يعقلون)
 صدر هذا القول بتوحيد الله وأردف بعده صلة العالم بعباده
 ببعض فابتدأ بالفلك وثني بالطبيعة وجعلها مرتبطة بمنظمة
 كأنها انسان واحد وحيوان واحد ونبات ففري كل كائن
 مستمد من سواه فاختلف الليل والنهار بالزيادة والنقصان بقرب
 الشمس وبمدها في البروج الشمالية والجنوبية يدعو الى
 اختلاف الحرارة والبرودة في الاقطار المتباينة وهبوب الرياح
 ففري الامطار تتساقط من السماء تبعاً لنواميس الحرارة والبرودة
 المسخرين لناموس الافلاك وسير الشمس في البروج فتنشأ
 ممالك النبات والحيوان والانسان من ذلك الماء وتهب الرياح
 فتسير السفن كما تسير السحب ولكل قوانين في سيره ففري
 السفن لن تتجاوز مارسم لها الملاحون في رسومهم من الخطوط
 البحرية ولن تعدو السحب طريقها المرسوم لها بالنوانميس
 الطبيعية رحمة للناس وهذا جميعه مرتبط بالعلويات وكيف

تسير السفن الا بالقوانين البحرية المستخرجة من علم الافلاك
ومراقبة الاطوال والعروض والنجوم وسير الشمس وملاحظة
الاجرام العلوية وتمفطس الابرة المتجهة الى القطبين أم كيف
يتحرك السحاب الا بالرياح وهي المسخرة بالحرارة المنبعثة
من الاجرام العلوية فرجع الامر كله الى أصل نجم عنه فرعان
كلاهما له فروع الاصل اختلاف الليل والنهار بالحركات
الفلكية والفرعان القوانين المودعة في الاجرام العلوية والحرارة
المنبعثة على الكرة الارضية . ومن الأول نشأ فرعان سير
السحب وسير السفن بالقوانين البحرية لرقى التجارة بتبادل
المنافع بين الامم فيأخذ الشرقي ما نبت في الغرب ويأكل
الغربي ما نبت في الشرق ومن الثاني فرعان اثاره الهواء والماء
فحرك الهواء السحاب والسفن وتبخر الماء بالحرارة فعلا في
الجو فبيط ماء على اليابسة وكان الحيوان والنبات منه
وهذه صورة



الفلك



قترى هذا العالم على هذا النسق كرة واحدة وشكلا
واحداً يحتاج أدناه الى أعلاه والاعلى مفيد للاسفل والاسفل
مستمد من الاعلى مستفيد منه كما ظهر في هذا الشكل واذا
كان هذا شكل النظام الذي في عالمنا فمن الأقرب للعقول
أن نهج المنظمات الاخرى على هذا النمط وعليه فأصبح هذا
العالم لدى العلماء والمفكرين كجسم واحد له روح وقلب
وأعضاء متحركة وحرارة وهل دورة المياه والرياح المسخرات
ودورات الشمس والاقمار إلا كما يدور الدم في أجسامنا فاذا
أبصرنا بمقولنا أدركنا العالم كإنسان واحد وحيوان واحد
له رأس وأعضاء رئيسة ومروؤسة ولا يعقل هذا الا من

درس من كل فن طرفاً ثم مزج العلوم وربطها ثم قارنها فهناك
يدرك هذا القول ولا جرم أن الجسم الواحد مديره واحد
فارتباط العوالم واستمدادها يدل أن مدبرها واحد

وتأمل كيف يقول (والهكم اله واحد الخ) ثم يعقبه
بهذا الشكل المنتظم من الكائنات الصائرة مزاجاً واحداً فهي
هو يقول الهكم واحد ولن تستشعروا هذه الوحدة الا اذا
قرأتم العلوم وعشتم بها وصورت في عقولكم شكلاً منظماً كما
وضعناه فتدركون مزاجه وجسده ومنه تعرفون أن المدير
واحد ولقد رأيت علماء اليونانيين يطنطنون بأن العالم واحد
ويبرهنون ببراهين قاحلة يابسة خلت من العلوم والحكمة
على عاداتهم في مثل ذلك وقسموه اعراضاً وافلاكا وجواهر
ثم يقولون لن يمكن في العقل وجود سوى ما رأينا فاذا كثرت
العوالم فهي من هذه الاجزاء ولم أرهم يحومون حول ارتباطه
الطبيعي .

هذه الآلية تخرضنا على العلوم وانظر كيف تبعها أخرى
كشفت القناع عن العمران الناجم عن هذه العلوم وعن

سياسة الامة ونظامها ومحاوره عجيبة بين الرؤساء والمرؤوسين
 وتوصيف ما يعتور الاعم الضالة في العقائد يقول (ومن الناس
 من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا
 أشد حبا لله) الناس قسمان عقلاء يجدون في عقولهم موجداً
 واحداً نظم نظاماً عجيباً واحداً فتعشقه قلوبهم وتميل اليه نفوسهم
 وينالون من المعارف ما تمتلي به نفوسهم فرحاً وتستنير
 أفئدتهم وينالون يقين النعيم والعقيدة المنيرة للائدة وهي
 وحدة النظام وتنظيم مدتهم بوضع الرؤساء والمرؤوسين
 كلا في موضعه اللائق ومكانه المستعد له ودرجته التي
 يستحقها بمحض استعداده وجده كما نظمت هذه الكائنات
 على هذا النمط ومزجت جسماً واحداً وشكلاً منظماً فبالمعنى
 الأول يعشق الخالق ويحبه حباً مفرطاً لحسن النظام والرافة
 والجمال والبهاء والكمال حباً لا يعتوره فتور باقياً مابقي النظام
 متزايداً ما تزايد الاحساس بالحكمة والغرائب المدهشة
 وبالتالي تدوم المدينة وتم الحضارة لثباتها ورسوخها رسوخ
 الجبال لا بل أقوى وأثبت وأدوم لبنائها على أس الحكمة التي

بنى عليها هذا العالم وعلى هاتين المقدمتين ترى الآيات المتتابعة
 المتناسقة بعد هذه فصلت الامرين فقال في المعنى الاول (ومن
 الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين
 آمنوا أشد حبا لله) وهم أولئك المقلدون لرؤسائهم العابدون
 لاله لا يدركون سرا من أسرار خلقه فخبهم في الحقيقة
 لرؤسائهم وهكذا عباد الاصنام والحيوان والنار والشمس
 والقمر تراهم يحبون ما عبدوا للدوام اعتيادهم واستمرارهم وتمرنهم
 على تلك العبادة وخضوعهم وخشوعهم فتطير أفئدتهم شعاعاً
 وتقطع حسرات اذا أهين ما عبدوه ولكن الذين قرؤا ما سطر
 فيما وجد من العلوم وعرفوا صنائع العالم أشد حبا لله لأنهم لم
 ينقض دليلهم ولن يهن حبلهم ولن يزول معتقدتهم أما أولئك
 الوثنيون فهم أقرب زلزالا لظهور الصواب لهم بالبرهان وما
 أهون الحب لتلك الاوثان اذا قام البرهان وأشار الى المعنى
 الثاني بقوله (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ان القوة
 لله جميعاً وان الله شديد العذاب اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين
 اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا

لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم
 حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) تهويل لحال الظالمين
 في عقائدهم الجاهلين بما حولهم المقلدين لرؤسائهم الناظمين لمذنبهم
 نظاماً يديره الرؤساء حسب أهوائهم لما أذعنوا لهم بالأمر
 وخضعوا لما يترأى لهم على أيديهم وما يسطر عنهم من
 الاعاجيب المدهشة وما يخلق سدة الوهم عنهم لغرض أنفسهم
 يقول لورأى هؤلاء الجاهلون ما سينزل عليهم عند حلول النقمة
 بهم بتزيق جامعتهم في الدنيا وتقطيع أفئدتهم بالحسرات
 واليران في الآخرة حينئذ يرون أن أولئك الرؤساء مثلهم
 ما كان يسد لهم تلك الأصنام والآلهة والأوهام المفترقة
 والضلالات المكذوبات والسنة الطالحة وهناك تكون
 الحسرات وهناك تنقطع القلوب وتزول الالفة والجاه وتذهب
 أيدي سبا ويغلبها قوم آخرون ويستعبدوها الا جانب المالكون
 ويشغلها القاهرون الظالمون ويضرب على أيدي سدة ذمتهم
 وحينئذ يستصرخ الضعفاء بالاقوياء كما تراه في كل أمة أفل
 نجمها وغاب سعدا وأدبر عزها وأقبل ذلها يقولون هانحن

استسلمنا لكم صاغرين فيما مضى فهل أنتم مغيثونا من عذاب
عدو حاكم وفاتك غشوم أقبل فيقولون دعونا وشأننا انما نحن
أذل منكم نفسي نفسي لا نملك لكم ضراً ولا نفعا وهذا القول
كما يصدق على عذاب الآخرة نراه ونسمعه كل يوم في أنحاء
العالم عند تفاقم الخطب وحلول الكرب في الأمم الضالة التي
سيقت بسوط العذاب الى الخزي والدمار فيندم التابعون
ولات ساعة مندم يقولون . ياليت لنا رجعة الى الدنيا ومثلها
الرجوع الى الاستقلال في الحياة . فلنعرف أخبار أنفسنا ونفكر
لها ولا نلذ من غشوا على أبصارنا وسامونا الخسف . نسمع
هذا القول في الدنيا من عامة الدول حين يدهم بلادهم عدوهم
يقولون وقد يتسوا من رؤسائهم لو اننا استرددنا بلادنا ما سيطر
علينا رؤساء ظالمون بل أدركنا الملك بأيدينا وفكرنا لأنفسنا
وجعلنا الرئيس وكيلا لا مسلطاً ولا تظن ان هذا المقال خارج
عن موضوع الآية فانها وقد صرحت بعذاب النار ومحاورات
الرؤساء في الآخرة فانما ذلك صورة لما يحدث في الدنيا (ومن
كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا)

فالنفس في هذه الدنيا هي التي في العالم الآخر وعقولها
وأفئدتها سواء هنا وهناك فأشار بعدها الى تساوي النفوس
في العقول اذ قال (يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا
طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين)

﴿ الجوهرة الثانية والخمسون ﴾

الحادية عشره (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب
دعوة الداعي اذا دعان)

ولما وصلت الى هذه الآية بدالى ان اجعلها نهاية هذا الجزء
من الكتاب وانى أضرع الى الله ان يقدرنى ان اسلك في
تفسير القرآن كله على هذا النمط الذي أشار اليه الشيخ
الغزالي رحمه الله في أجزاء تتلوا هذا الجزء ان شاء الله وصلى
الله على سيدنا محمد وآله

تم الجزء الاول من جواهر القرآن والعلوم تأليف الشيخ

طنطاوي جوهرى مدرس اللغة العربية

بالمدرسة الخديوية بالقاهرة بمصر

﴿ مؤلفات للمؤلف ﴾

(١) كتاب نظام العالم والامم

كتاب أودع فيه من صنوف حكمة الشرقيين وجواهر
 ابداع الغربيين ما يشف عن البهاء والجمال خلصت فيه حكمة
 الرئيس بن سينا وملح ورقائق من كتاب جمال الطبيعة
 للعلامة الشهير اللورد ايفيري الانجليزى والعلامة
 الغزالي حجة الاسلام وأجل مارق من العلوم الشائمة
 بين الامم فاذا شأقتك نفسك ان تنظر في غرائب
 الحساب وفلسفته مع النفس أو تصل الى سر الاحجار
 والاشجار والنبات وغرائب الحيوان وابداع الكواكب
 والافلاك فانظر في رياضته وابتهاج بلائله وفيه تقرأ
 سياسات الامم ومحاورتها ووحدتها وما الضلالة منها وما
 الفاسقه وطرق التعليم القديمة وما يجب لتلافي هذا
 الخطب المحقق الى غير ذلك مما يريك سر الله في
 مصنوعاته وسياسته في الامم جيلا بعد جيل وقرنا بعد

قرن فهو روض نضير مأوّه نير وجنى جنتيه دان فبأى
 آلاء ربكما تكذبان وقد أهداه الى ادارة الحلمية وهو
 يباع تبع الادارة بمبلغ خمسة عشر قرش صاغا ويستلم
 الدافع جزءا الآن وعند تمام الطبع يكون الثمن عشرين
 قرش صاغ (والعنوان هكذا) (ادارة أوقاف الحلمية
 بشارع خيرت بالطريقة الشرقية بمصر)
 ويطلب الكتاب أيضا من محل تجارة الحاج محمد أفندى
 ساسي بجوار محافظة مصر

(٢) ميزان الجواهر

(٣) جواهر العلوم

هذان الكتابان بقيت منهما نسخ عند حضرة الشيخ
 على أبى النور الجربى الواعظ الشهير فلتطلب منه وربما
 طبعا بعد ذلك وقد جعل القيمة للاول ٦ قروش صاغ
 وللثانى ٤

(٤) جمال العالم

هذا الكتاب وصنعه المؤلف على هيئة محاوره جميلة

بين رجل عاشق للحكمة شاك في نظام الدنيا وهيئتها
وترتيب مافيهها وأستاذ مرشد وفيه من غرائب الحكمة
ما يرقى به الناشئ الى الحكمة والفضيلة وهذا الكتاب
نفدت نسخته وسيعاد طبعه

(٥) النظام والاسلام

وهو مقالات جمعت بين العلوم والعمران والحكمة
والفضيلة وهذا الكتاب سيعاد طبعه وهو معلوم للخاصة
وأهل العلم من الامة

(٦) المقالات الاصمعية المشهورة للمؤلف

(٧) العقد الثمين في آراء العرب ومذهب داروين

هاتان المقالتان أدرجتا في كتاب نظام العالم والامم وهو
الكتاب الجامع الذي ذكرناه آنفاً

المقالات الاصمعية قد كشفت عن وجوه قلب نظام
التعليم وأزاحت الستار عما يجب اتباعه على المسلمين في
هذه السبيل وأما العقد الثمين فقد أبان حقيقة مذهب
داروين وأبان انه هو بعينه مسألة دائرة الوجوه عند

علماء الاسلام وأن بينهما اتحاداً من جهة واقترافاً من
أخرى فأزاح اللبس وكشف الستار عن عين الحقيقة
(٨) المقالات الرازية التي نشرها المؤلف من قبل وهي من
ضمن نظام العالم والامم

(٩) الزهرة هي ملخص كتاب نظام العالم والامم
وضعها المؤلف في وريقات قليلة نحو الثلاثين ليعلم منها
غرض الكتاب اذ لم يسمح للقارئ الزمن بقراءته
وهذان أيضاً أدرجا ضمن نظام العالم والامم وكانت
الزهرة قد طبعت منفردة

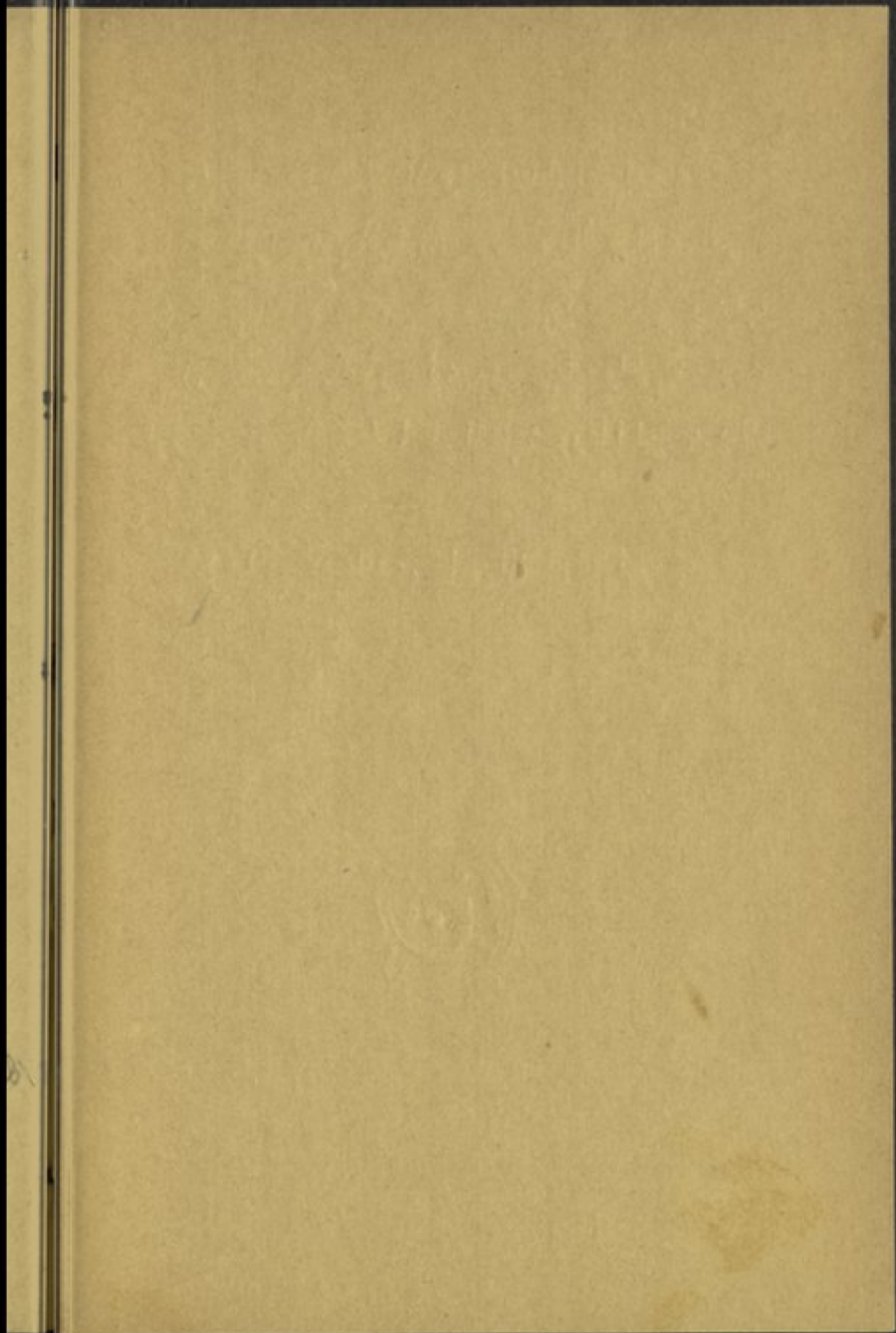
(١٠) المقالات الجوهريّة مقالات المؤلف ستطبع
قريباً وهي في الامور العامة العمرانية والعلمية والادبية
(١١) الفرائد الجوهريّة في علم النحو ومن هذه نسخ عند
الحاج فرج الزيات بجهة السيد زينب بمصر
(١٢) التاج المرصع وهو هذا الكتاب الذي طبع على نفقه
حضرة الحاج محمد افندي ساسي المغربي



وقد عزم المؤلف على أن يوالى إصدار أجزاء منه متتالية
 فى تفسير القرآن على النمط الذى توخاه والنهج الذى انتهجه
 بحيث يظهر ما فى الآيات من علوم حديثه وآراء حكمية وآداب
 وعمران ومحاسن القرآن وبدائعه ومزايا جليلة واضحة شارحة
 للعلوم الحديثه مطابقة لها تمام المطابقة وربما نعلن عن ذلك
 من بعد

✽ الحاج محمد افندي ساسى المغربى التونسى ✽





فهرست الكتاب

صحيفة

٢	المقدمة
٥	خطبة الكتاب - مبدأ نظري في العالم
٧	الجوهرة الثانية مقارنة الأديان
٨	» الثالثة العالم والصانع
٩	» الرابعة تعليم التوحيد
١٠	» الخامسة النظر في القرآن
١٣	» السادسة حالي عند النظر في القرآن
١٦	» السابعة الشوق الى العلوم
١٧	» الثامنة هل العالم منظم
٢١	» التاسعة المباحث المناسبة لنظام العالم
٢٨	» العاشرة النظر في كتب علماء الانجليز
٣٥	» الحادية عشرة مقارنة بين علماء المشرق والمغرب
٤٦	» الثانية عشرة القرآن والمسلمون ومتأخرو الافرنج
٥٠	» الثالثة عشرة نتيجة المباحث السابقة

الجوهرة الرابعة عشرة تربية الوجدان في الاسلام	٥٣
» الخامسة عشرة الاحزاب في أوروبا ومسألة	٥٥
الانسان والحيوان	
» السادسة عشرة ليس مذهب داروين جديداً	٥٩
» السابعة عشرة فصل في تحقيق هذا الموضوع	٦١
» الثامنة عشرة أولها انتهاك الحرمات	٦٦
» التاسعة عشرة الأصل الثالث وهو الفرع الثاني	٦٩
» العشرون منزلة العلوم من القرآن وكتاب	٧٥
العرب والافرنج	
» الحادية والعشرون مباحث الاسلام ست	٧٨
» الثانية والعشرون مدح العقل	٨٠
» الثالثة والعشرون اقسام مفاتيح العلوم	٨٣
» الرابعة والعشرون الباب الاول إجمال معارف القرآن	٩٠
» الخامسة والعشرون القسم الثاني نبذ ما يضر	٩٣
بالعقل ويخالف العقيدة	

- ١٠٥ الجوهرة السادسة العمران والسياسة في القرآن
- ١١٧ » السابعة والعشرون فصل وهناك عشر خصال
عمرانية تهذيبية
- ١٢٧ » الثامنة والعشرون الوجه الثاني في الصلاة والحج
- ١٢٩ » التاسعة والعشرون في الزكاة
- ١٣١ » الثلاثون الصيام
- ١٣٢ » الاحدى والثلاثون المعاملات والأحكام
والحدود والتعازير
- ١٣٥ » الثانية والثلاثون الشرع ميزان
- ١٣٦ » الثالثة والثلاثون مقصود الشرع ودرجات الأئمة
في العلم
- ١٣٧ » الرابعة والثلاثون العقل والشرع
- ١٤٤ » الخامسة والثلاثون الأول الدين والعقل
- ١٤٦ » السادسة والثلاثون الثاني الدين والطبع
- ١٤٧ » السابعة والثلاثون الثالث خوارق العادات مع الدين

١٥٣ الجوهرة الثامنة والثلاثون الرابع من أخذ العلوم

من الدين بدون فكر

» ١٥٥ التاسعة والثلاثون الخامس الغلو في الدين

» ١٥٦ الأربعون السادس والسابع وجوب العلوم

العقلية على الأمة والصناعات

» ١٦٠ الحادية والأربعون الثامن عناية الدين بالعلوم

» ١٦٣ الثانية والأربعون سورة الفاتحة

» ١٦٦ الثالثة والأربعون في سورة البقرة أربع عشرة آية

» ١٦٨ الرابعة والأربعون الآية الثانية هو الذي خلق

لكم ما في الارض الخ

» ١٧٠ الخامسة والأربعون الآية الثالثة قالوا سبحانك الخ

» ١٧١ السادسة والأربعون الآية الرابعة ألم تعلم ان الله الخ

» ١٧٢ السابعة والأربعون الآية الخامسة والله المشرق والمغرب

» ١٧٦ الثامنة والأربعون الآية السادسة وقالوا اتخذ

الله ولداً سبحانه الآية

اصلاح خطأ

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
درجت	دوجت	٤	٨
حصلناها	حصلنا	١٢	٩
الجاهلين	الحاهلين	٩	١٨
حروفا	صروفا	١٥	٢٤
نعم	نعم	٧	٢٧
يفطن	يقطن	٢	٣١
كتبكم	كتابكم	٩	٣٣
ثلاث	خمس	٦	٥٠
الفارابي	الغرابي	٢	٥١
وهكذا	وهذا	٤	١٥
ولم أكتف	وأأكتف	٤	٥٩
بحثوا	يبحثوا	٥	٥٩
وهكذا	وصكذا	٧	٧٨

(و)

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
فسطاط	قسطاس	٥	٨٣
محال	محل	١٣	٨٥
أقسم	قسم	٥	٨٧
من الاموال	والأموال	٦	٩٨
التي	والتي	٧	٩٨
مشهد	شهد	٨	١٠٠
أي لا	أولا	٩	١٠٠
واجعلنا	وجعلنا	١٥	١٠٠
يترك	بترك	٦	١٠١
وصية مكرر	وصية	٩	١٠٤
كل سورة	سورة	٩	١٠٥
بقسطه	بقسطة	١	١٠٧
التمدينه	التمدنه	٣	١٠٧
والسان ربا	واللسان	١٠	١٠٧
كان	كانت	١٣	١٠٩

(ز)

صحيحة	سطر	خطاً	صواب
١١٨	١٠	للتطيب	للتطبيب
١٢١	١٣	سيطرأ	سيطر
١٣١	٩	لنفس	للفتس
١٣٣	٣	إذا	اذ
١٣٣	١٦	فأينما	فانما
١٣٨	٧	أصروا	أصر
١٣٨	١٤	الشفعة	الشفقة
١٤١	٤	وكان	فكان
١٤١	٧	كلا	كلأ
١٥٠	١	خرق	خوارق
١٥٠	٩	علم	علمه
١٥٠	١٣	قد	وقد
١٥٣	١٢	أولادكم	أموالكم
١٥٤	٥	للحيه	بالحيه
١٥٤	١٠	لا يعوصون	لا يفوصون

(ح)

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
طلب	اطلب	٤	١٥٧
كيف لي به	كيف به	٨	١٦١
فقده	افقده	٩	١٦١
العلوم ونحوها	العلوم	٦	١٦٢
وآيات العلوم	وهي	٧	١٦٢
علويه وسفليه	علوية وسفلية	١٦	١٦٣
وثني بحمد	وثني	١	١٦٤
عن التمكن من	من التمكن عن	١٥	١٦٦
...	ولكنها	٨	١٦٧
نظن	تظن	٦	١٧١
من	عن	٨	١٧١
...	علي	٣	١٧٤

(تنبيه عام)

كتاب ميزان الجواهر وجواهر العلوم يباعان في محل محبوب هندواوي
تاجر ورق بالخمزاوي بمصر بجوار جامع المغربى • وثمن الاول ٦ صاغ
وثمن الثاني ٤ صاغ



هـ

لـ

من

وي

صاغ

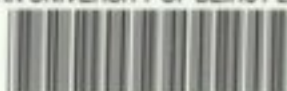
U. B. LIBRARY

DATE DUE

[illegible]

AUB LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES^L



00511201

